www.kassioun.org

947

الإثنين 6 كانون الثاني 2020

حزب الإرادة الشعبية

كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

قاسيون

اسبوعية - 24 صفحة ● الثمن «50» ل.س ● دمشق ص. ب «35033» ● تلفاكس «00963 11 3120598» ● بريد الكتروني: general@kassioun.org

الافتتاحية

تصعيد أعلى لانسحاب أسرع!

يدخل التصعيد الأمريكي في المنطقة طوراً جديداً مع عملية اغتيال الجنرال قاسم سليماني ورفاقه يوم الجمعة الفائت. ورغم كل ما يقال عن الرجل، إلا أنّ ما لا ينكره أعداؤه قبل حلفائه، هو دوره المهم في محاربة الإرهاب في المنطقة، ابتداء من القاعدة ووصولاً إلى داعش. كما لا ينكرون وقوفه في الصف المعادي للولايات المتحدة وللكيان الصهيوني في مختلف الساحات الإقليمية.

ولكن كما صرّح الإيرانيون أنفسهم، فإنّ العملية «لا قيمة لها بالمعنى العسكري»، ولكن القيمة الأساسية لها هي سياسية الطابع بالدرجة الأولى، وتتعلق بملفات عديدة متشابكة، بينها ما هو أمريكي داخلي، وبينها ما يخص إيران والمنطقة عموماً، وبينها ما يتعلق بالعراق بشكل خاص.

إنّ طبيعة الصراع الداخلي الأمريكي، تعكس في نهاية المطاف صراعاً عميقاً بين اتجاهين إستراتيجيين يرى كل منهما مستقبلاً مختلفاً للدور الأمريكي العالمي؛ أحدهما يعمل على انكفاء سريع في إطار التكيف مع التوازن الدولي الجديد، ولتحضير الداخل الأمريكي لجملة الأزمات الاقتصادية القادمة لا محالة، وهذا يمثله ترامب إلى حدٍّ بعيد. التيار الثاني يسعى إلى إبقاء حالة الاستنزاف وحالة الحرب حول العالم، ويرفض الانكفاء إلى الداخل أياً تكن التكلفة، لأنه يرى مصيره معلقاً بسيادة الدولار التي لا يمكن الحفاظ عليها بغير الفوضى الشاملة. ورغم الانقسام الواضح بين التيارات الأمريكية، إلّا أنّ ما يجمعها هي عملية الأفول التاريخي الذي تعيشه الولايات المتحدة الأمريكية بما يخص وزنها ودورها العالمي.

إنّ عملية الاغتيال هذه، وإنْ كانت من حيث الشكل رفعاً لدرجة التصعيد بشكل غير مسبوق، إلّا أنها وللسبب نفسه، أي لأنها كسر لتوازنات لعبة التصعيد المعمول بها طوال سنوات مضت، فإنها ستشكل ستاراً دخانياً كثيفاً لتغطية عملية انسحاب أمريكي ربما تشمل لا العراق وحده، بل ومواقع أخرى عديدة ضمن المنطقة، وبينها سورية بطبيعة الحال.

يعمل ترامب على جني أرباحٍ انتخابية باستخدام هذا الستار الدخاني، على غرار احتفالاته بقتل البغدادي «بغض النظر عن صحة الأمر من عدمها». ولكن ما هو أهم من ذلك أنه سيستخدمه لتغطية عملية الانسحاب التي باتت تلوح في الأفق القريب. على صعيد المنطقة، فإنّ بين أهداف عملية الاغتيال هذه، كسر حلقة وصل بين قوى وتيارات تشترك في معاداتها للأمريكان ومحاربتها للإرهاب، رغم اختلافها حول كل الملفّات الأخرى تقريباً؛ وذلك للوصول إلى قسمها وإضعاف دورها الإجمالي المعادي للأمريكان.

بين الاستهدافات أيضاً، خلق بلبلة في صفوف الحركة الشعبية في العراق، والتي شبت عن طوق القوى التقليدية والطائفية، ومحاولة قسمها عبر إعادة جزء منها إلى أيدي الزعامات التقليدية.

المحصلة الواضحة لكل ذي نظر، أنّ التصعيد الأمريكي وصل مع عملية الاغتيال هذه إلى قمّةٍ لم يعد ممكناً تجاوزها، وابتداءً من هذه القمة العالية سنرى عملية التراجع والانكفاء تدخل حيزاً جديداً أقرب إلى التدحرج نزولاً... وفي الإطار نفسه، سنرى تنفيذاً للحلول السياسية في أرجاء المنطقة، وفي مقدمتها سورية عبر القرار 2254!

380 ألف ليرة رقم قياسي جديد لتكاليف المعيشة

[12]

شؤون عمالية

وزارة العدل بصدد تسريح 1400 موظف!

02

ملف «سورية 2020»

لماذا اغتيال سليماني.. وماذا بعد؟

06

شؤون محلية

قطاع الإسمنت مستنزف فساداً

09

شؤون اقتصادية

ما الدور الذي تلعبه الليرة؟ وهل تستطيع الحفاظ عليه؟

13

وزارة العدل بصدد تسريح 1400 موظف!

هكذا كانت هدية الحكومة للموظفين في وزارة العدل بمناسبة قدوم العام الجديد بأن أصدرت قراراً يقضي بتسريح 1400 موظف من موظفين الوزارة.

■ أديب خالد

فقد أصدرت رئاسة مجلس الوزراء القرار رقم 18188/1 تاريخ 2019/12/17، وهو عبارة عن كتاب موجه إلى وزارة العدل مضمونه فرز الفائض من الناجحين من مسابقات وزارة السياحة ووزارة الإعلام ووزارة التعليم العالي ومن كافة الاختصاصات لصالح وزارة العدل، وجاء في الفقرة الثالثة من القرار بضرورة إنهاء العقود الموسمية في وزارة العدل وعدم تجديدها إلا لمرة واحدة في الربع الأول من عام 2020 فقط بعد موافقة السيد رئيس مجلس الوزراء.

مشكلة العقود سببها سياسة الحكومة

ينطوي على هذا القرار إنهاء عقود حوالي 1400 عامل، وتسريحهم من ملاك الوزارة، ومنهم عدد كبير لديه خدمة لعشرات السنين وأحدثهم لديهم خدمة 3 سنوات على الأقل ستذهب سدى، وسيتم الاستغناء عن خدماتهم وتحويلهم إلى عاطلين عن العمل، والسبب في ذلك سياسة الوزارة وسياسة الحكومة التي ما زالت مصرة على التوظيف بموجب عقود دون تثبيت للعمال لكي تستطيع الاستغناء عن خدماتهم في أية لحظة، كما في هذا القرار المذكور.

فقد كانت الوزارة توافق على التوظيف قبل عام 2014 بموجب عقود خبرة فقط وبعد عام 2016 تم تحويلهم إلى عقود سنوية، وبعد ذلك تم تحويل العقود السنوية إلى عقود موسمية تتجدد باستمرار في سابقة هي الأولى من نوعها في الوزرات والمؤسسات الحكومية، واليوم يتم الاستغناء عن خدماتهم وتسريحهم وتركهم بلا عمل ومن دون أدنى حقوق يمكن أن يحصل عليها أي عامل كالرواتب التقاعدية أو تأمينات، لأنه من المعروف أن عقود الخبرة والعقود الموسمية لا تسجل في التأمينات الاجتماعية، وليست لديهم أية حقوق سوى رواتبهم الضئيلة أصلاً.

التضحية بمن لديهم خبرة

ناهيك على أن عدداً لا بأس منهم أصبحت سنه في حدود الخمسين، فكيف يمكن تسريح هؤلاء بعد كل هذه السنين من العمل، وخصوصاً أنهم باتوا يمتلكون خبرة في ممارسة العمل القضائي وتشعباته؟ ناهيك أن من بين من يشملهم هذا القرار معينون من ذوي الشهداء.

فبدلاً من إنصافهم بعد كل هذه السنين وتثبيتهم أو تحويل عقودهم إلى سنوية ليضمنوا بها على الأقل مستقبلهم ومستقبل عائلاتهم كما كانوا يُوعدون طوال هذه السنين، تتم التضحية بهم وبخبرتهم وتركهم يواجهون مصيراً مجهولاً هم وعائلاتهم بعد طردهم من وظائفهم.

إذا كانت وزارة العدل تعاني من نقص في الكادر البشري يؤثر على عملها كما ورد في القرار المذكور، والسماح لها بالإعلان عن مسابقة لتلافي هذا النقص لماذا تقوم بالاستغناء عن هؤلاء العمال، ولماذا لا يتم تثبيتهم؟ ألا توفر الوزارة بذلك الوقت والجهد ريثما يتم تدريب الموظفين الجدد؟

تسريح تعسفي بلبوس قانوني

ألا يندرج هذا القرار تحت بند التسريح التعسفي من العمل ولو كانت الوزارة والحكومة من ورائها تغطي ذلك التسريح بنصوص قانونية تنص عليها مثل هذه العقود عادة؟ حيث يمكنها من إنهاء تلك العقود بإرادة منفردة ودون أي سبب، ألا يعتبر ذلك تسريحاً تعسفياً ولكنه مغطى بثوب قانوني؟؟

وكيف تم السماح لوزارة العدل بالاستعانة بعقود موسمية؟ هل هناك عمل في وزارة العدل والمحاكم يتمتع بصفة الموسمية؟ وجميع هؤلاء العمال يقومون بعمل يدخل في اختصاص وملاك الوزارة، ويتمتع بصفة الدوام والاستمرار حسب تعريف قانون العمل، فعلى أية أسس يتم التوظيف بموجب عقود موسمية؟

أين دور النقابات؟

أين دور اللجان النقابية في وزارة العدل؟ ولماذا لم تحرك ساكناً وتدافع عن حقوق عمالها الذين أصابتهم صدمة كبيرة من جرّاء القرار المذكور؟ أم إن تلك اللجان موافقة على ما يتعرض له العمال من ظلم من قبل الوزارة؟.

من المفروض أن المواطنين يلجؤون لوزارة العدل لتحصيل حقوقهم، بينما الموظفون في وزارة العدل يستنجدون لتحصيل حقوقهم من الوزارة!

إن الموظفين في وزارة العدل يوجهون نداء إلى الاتحاد العام لنقابات العمال للتدخل لحل هذا الموضوع، ويناشدون رئاسة مجلس الوزراء بالعدول عن هذا القرار الجائر، وإنصافهم عبر تثبيتهم في وظائفهم أو تحويل عقودهم إلى عقود سنوية كما كانوا يُوعدون طوال هذه السنين.

بصراحة

■ محمد عادل اللحام

مؤتمرات بلا توجهات؟

انتهت المؤتمرات «الانتخابية» للاتحادات المهنية، وقبلها مؤتمرات اتحادات المحافظات وسيتلوها التحضير للمؤتمر العام الذي سيعلن قيادة الحركة النقابية الجديدة سواء بمكتبها التنفيذي أم بمجلسها العام. وبهذا يكون قد اكتمل قوام الهيئات التنظيمية لنقابات العمال بمختلف مستوياته. والملاحظ من خلال متابعة سير المؤتمرات التي أنجزت إلى هذه اللحظة أن الجهد الأساس كان منصباً على ترتيب من سيكون في هذا الموقع ومن سيغادره، وهذا طبيعي بسياق الترتيبات التي جرت. ولكن لم يقدم في هذه المؤتمرات للطبقة العاملة السورية ما هو أساس وضروري من حيث واقع عملها، أي واقع المعامل والمنشآت الإنتاجية التي يؤكد العمال أنها ليست كما ينبغي أن تكون إنتاجياً، فهي، أي المعامل والمنشآت تئنُّ من تراجعها المستمر بسبب قدم آلاتها وعدم توفر القطع التبديلية والمواد الأولية، وشروط العمل المجحفة المحيطة بالعمال، وشروط الصحة والسلامة المهنية الغائبة. والتي تسبب إصابات عمل قد تكون أحياناً مميتة كما حدث في مصفاة بانياس، وكما يحدث للعمال في محطات الكهرباء. مما استدعى أن تعقد جلسات لمناقشة الأسباب التي أدت لإصابات عمل قاتلة بغياب التدابير الضرورية التي تحمي العمال من تلك الإصابات هذا جانب من الموضوع. والجانب الآخر الذي كان ينتظره العمال من تلك المؤتمرات ولم يحدث موضوع المستوى المعيشي الذي يعيشه العمال المرتبط بمستوى أجورهم وقيمتها الفعلية والذي يتردى يوماً بعد يوم، لم يقولوا للعمال كيف ترى الحركة النقابية الحلول لهذه المعضلة التي هي ليست وليدة هذه الأيام، بل هي متراكمة ومستمرة. وجرى القفز عنها مرات ومرات، أي لم تتخذ الحركة النقابية موقفها المفترض تجاه سلوك الحكومة وتجاه سياساتها الاقتصادية المنحازة كلياً إلى جانب قوى السوق التي أتخمت من شدة النهب والفساد.

لقد كانت التقارير التي أعدت قبل المؤتمرات لها طابع شكلي بدون مضامين حقيقية توضح توجه النقابات للمرحلة القادمة، وبهذا تكون الطبقة العاملة قد خسرت رهانها، إن كانت تراهن على نتائج تلك المؤتمرات، وما تم بها من ترتيبات لم تكن لتؤشر إلى برنامج مفترض تتبناه الحركة النقابية تحدد فيه رؤيتها لما هو جار وما سيجري في قادم الأيام، وهذا سيترك أمام العمال صياغة خياراتهم المناسبة، من أجل الدفاع عن حقوقهم كل حقوقها.

لماذا حق الإضراب للطبقة العاملة؟ «1»

نحن اليوم في عالم تكثر فيه المتغيرات والتحولات، في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، وهذه التحولات أصبحت متلاحمة ومترابطة ترابطاً عضوياً. والسؤال عن حقوق العمال التي تسلب منهم، هل هو بسبب التطور التكنولوجي وخاصة في مجال الاتصالات والمعلومات؟ أم إنه التوجه نحو الاقتصاد الليبرالي، وتحرير التجارة وتقليص دور الدولة في العملية الاقتصادية، وأن التحولات الاقتصادية السياسية على الساحة المحلية كانت هي الأساس في فقدان هذه الحقوق؟ لقد تغيرت النظم والسياسات الاقتصادية، وكان للعمل النقابي العمالي النصيب الأكبر من هذا التغيير، حيث بات التغيير في الحركة النقابية هو المؤشر والدليل الحي على جوهر التحولات هذه وماهيتها.

■ نبيل عكام

العمال دائماً يسألون كيف يمكنهم الحصول على حقوقهم في حالة قيام أصحاب العمل بهضم حقوقهم؟ وما هي الطرق والأدوات التي تمكنهم من الحصول على حقوقهم التي ضمنتها لهم الشرائع الدولية والوطنية والتي منها حق الإضراب؟ ومن المعروف أيضاً أن العمال لا يضربون بلا سبب ولا يمكن أن نجد نزاعاً عمالياً بين العمال وأصحاب العمل بدون سبب، ومن أهم أسباب إضراب العمال، هو النزاع حول الأجر، أو الخلاف حول وقت العمل، أو من أجل تحسين شروط وظروف العمل، وكذلك أيضاً عدم صرف المستحقات المالية المختلفة من التعويضات الإضافية وطبيعة العمل الشاقة للعمال من قبل أصاحب العمل، وتعسف أصاحب العمل مع العمال، خاصة في عدد ساعات العمل التي أقرتها القوانين الناظمة، والتأخير بصرف الأجر، وشعور العمال بعدم الأمان نتيجة ازدياد حالات الفصل التعسُفي بدون مبررات مقنعة.

فما هو إذاً حق الإضراب؟ هو امتناع العمال في هذه المنشأة أو تلك أو مجموعة منهم عن العمل بطريقة منظمة ولمدة محددة، ومرتبط بالمطالبة ببعض حقوقهم المفقودة. ويعتبر الإضراب أحد أهم الأدوات التي يستخدمها العمال للدفاع عن حقوقهم ومصالحهم. لكن متى يلجأ العمال إلى الإضراب؟ يلجأ العمال إلى الإضراب بعد أن يكونوا قد استنفذوا كافة وسائل المطالبة والحوار والمفاوضات الودّية، ومن ثم يتوقفون عن العمل بشكل جماعي ويشرعون بالدخول في الإضراب.

أنواع الإضراب:

يمكننا أن نقسم الإضرابات حسب الغاية منها إلى:

إضرابات دفاعية وهي بغية الدفاع عن الحقوق التي أقرتها القوانين الوطنية النافذة والمسلوبة من قبل أرباب العمل.

إضرابات هجومية وهي بغية المطالبة بالحقوق المنقوصة في قوانين العمل النافذة، والتي أقرها الدستور والشرائع الدولية الخاصة بحقوق العمال.

ج- إضرابات تضامنية وهي تضامن مع أقرانهم العاملين في القطاعات الأخرى من العمل سواء المحلية منها أو الدولية.

د- الإضرابات السياسية: النقابات تستطيع أن تتخذ القرارات وتشارك في صنع الأحداث، وتؤثر بذلك في الطبقة العاملة، وكذلك في المجتمع. إن أرادت ذلك لأنها الأوسع وأيضاً الأعمق تأثيراً، فمجال العمل النقابي العمالي هو أكثر المجالات حساسية للتحولات، التي تحمل فرصاً كبيرة وتحديات غاية في الخطورة. كما يأخذ الإضراب أشكالاً وطرقاً متعددة، وذلك حسب نوع المطالب وظروف العمل العامة، ومدى تقدير ومعرفة النقابات بدرجة الاستجابة لهذا المطلب أو ذاك ومن هذه الأشكال أو الطرق.

الامتناع عن العمل: ويكون ذلك بحضور العمال إلى مكان العمل مع الامتناع عن تأديته، أي يجلس العمال المضربون في أماكن عمل من دون إحداث أي شغب، وقد أطلق على هذا النوع من الإضراب في العرف الفرنسي بالإضراب الصامت.

الإضراب المتتابع: ويتم فيه التوقف عن العمل بشكل مجموعات وبصورة متتابعة ومدروسة، فتتوقف مجموعة من عمال المنشأة لمدة معينة، ثم تعود إلى العمل، لتبدأ مجموعة أخرى في التوقف وهكذا، أي لا يضرب كل العمال في المنشأة مرة واحدة حتى لا يتعطل العمل كلياً.

الطبقة العاملة

إضراب عمال شركة جيرمان وينغز الألمانية

دعت نقابة عمال أطقم الضيافة الجوية في شركة «جيرمان وينغز» الألمانية، للطيران «أوفو» إلى تنفيذ إضراب عن العمل من أجل المطالبة بزيادة الأجور، حيث باشرت مضيفات ومضيفو شركة «جيرمان وينغز» الألمانية، للطيران بتاريخ 29 من الشهر الماضي في إضراب سيستمر لثلاثة أيام، مما يخلق ارتباكاً كبيراً لحركة الطيران خلال هذه الفترة من السنة التي تشهد احتفالات رأس السنة، ويعتبر هذا الإضراب الثاني في أقل من شهر الذي تقوم به النقابة في الشركة. وتعدّ جيرمان وينغز فرعاً من فروع يورو وينغز التابعة لشركة لوفتهانزا الألمانية، وتضم أسطولاً من حوالي 30 طائرة عاملة في مجال الطيران الجوّي منخفض التكاليف. ومعظم الرحلات التي سيتم إلغاؤها هي رحلات داخلية، إلّا أنَّ من بينها أيضاً رحلات إلى النمسا وسويسرا.

انخفاض معدل البطالة في اليابان

أفادت بيانات حكومية صادرة في اليابان في أواخر تشرين الثاني عن انخفاض في معدل البطالة في اليابان، واستقرار في توفر فرص العمل، وتفيد الأرقام الصادرة عن الوزارات المعنية بأن معدل البطالة قد تراجع في ضوء العوامل الموسمية إلى 2,2% في شهر تشرين الثاني من 2,4% في الشهر السابق. يأتي ذلك مقارنة مع متوسط توقعات سوق العمل البالغة نسبته 2,4%.

وأظهرت بيانات من وزارة العمل في اليابان أن نسبة الوظائف إلى المتقدمين لشغلها استقرت عند 1,57 في شهر تشرين الثاني، بما يتلاءم مع المستوى المسجل في شهر تشرين الأول، وكذلك متوسط توقعات خبراء اقتصاديين.

إضراب العمال بمطار لشبونة

دعا الاتحاد الوطني لعمال الطيران المدني لتنظيم إضراب في مطار لشبونة لمدة ثلاثة أيام، حيث شارك 90% من العمال في الإضراب في لشبونة، وذلك بعد فشل المفاوضات بين الاتحاد الوطني لعمال الطيران المدني وشركة بورتواي التي تُشغّل العمال في مطارات لشبونة وبورتو وفارو وفونشال- التي قد انهارت في شهر كانون الأول- من أجل معالجة وضع الرواتب والأجور للعاملين. هذا وقد أوقفت شركات الطيران أكثر من 16 رحلة من مطار لشبونة وإليه بسبب هذا الإضراب الذي ينظمه عمّال المطار لمدة ثلاثة أيام. وكذلك أيضاً ألغت شركتا إيزي جيت وبروكسل إيرلاينز رحلات من باريس وبلجيكا ولندن وبريستول ومانشستر في يومي السبت والأحد بسبب الإضراب الذي ينفذه العمال في المطار.

وقفة احتجاجية لمستخدمي المكتبة الوطنية في المغرب

قرر المكتب النقابي لمستخدمي المكتبة الوطنية في المملكة المغربية تنظيم احتجاج، في نفس الوقت الذي ينعقد فيه المجلس الإداري للمكتبة الوطنية والذي انعقد يوم 27 كانون الأول 2019، احتجاجاً على ما يعانيه عمّال وعاملات المكتبة الوطنية للمملكة المغربية من أوضاع معيشية ومهنية شديدة الصعوبة، وبسبب رفض إدارة المكتبة الحوار مع المكتب النقابي لعمال المكتبة الوطنية التابع للاتحاد المغربي للشغل بصفته النقابة الوحيدة التي تمثل العمال، وتعمل على التضييق على أعضائه، وبعد فشل المساعي الرامية إلى تجاوز حالة الاحتقان الاجتماعي الذي تعيشه المؤسسة منذ شهور عديدة. هذا وقد دعا الاتحاد المغربي للشغل إلى المشاركة الواسعة في هذه الوقفة الاحتجاجية، وهي تأتي ضمن فعاليّات برنامجه النضالي الخاص بالحملة الوطنية للدفاع عن الحقوق والحريات النقابية لشهر كانون الأول 2019.

عمال القطاع الخاص...هل يمكن تغيير واقعهم؟

العمل النقابي يتجه بمعظمه منذ عقود نحو عمال قطاع الدولة، الذين ازداد عددهم مع فورة التأميمات التي جرت في نهاية الخمسينات وبداية الستينات، وكذلك مع أموال المساعدات التي كانت ترد في السبعينات وجملة المشاريع الإنتاجية والخدمية المنشأة بعد تلك المرحلة.

■ عادل ياسين

مع ورود المساعدات الضخمة بعد حرب تشرين، أخذ العمل النقابي يركز جهوده بهذه القطاعات لاعتبارات كثيرة، منها ما هو سياسي والآخر المتعلق بالوزن الفعلي للطبقة العاملة في قطاع الدولة، الذي تضخَّم بشكل كبير، بينما الشق الآخر، القطاع الخاص، لم يكن له وزن حقيقي من حيث عدد المنشآت وعدد العمال، أي: كان هامشياً إلى حين صدور قانون الاستثمار في التسعينات، وبدأ القطاع الخاص الاستثمار الفعلي في جوانب اقتصادية متنوعة، أي: بدأ مركز الثقل يتحول شيئاً فشيئاً بهذا الاتجاه، ولكن مع هذا التحول لم تتمكن النقابات من رؤية ذاك الجديد الجاري في واقع عمال القطاع الخاص، من حيث العدد والتوصيف المهني ومستوى التعليم والاختصاصات الجديدة مع الصناعات الجديدة، خاصة في المدن الصناعية التي تضم بين جنباتها العديد من الصناعات الحديثة، التي تتطلب عمالاً ومهندسين يديرونها على مستوى من الخبرة والكفاءة ويقدر عددهم بهذه المدن الصناعية بعشرات الألوف.

تفاقمت مشكلة عمال القطاع الخاص مع اشتداد الهجوم على حقوقهم وتغييب مطالبهم بصدور قانون العمل رقم 17 لعام 2010، هذا القانون الذي صدر برغم التحفظات على الكثير من مواده من قبل النقابات، ولكنه صدر بالصيغة التي طرحها ممثلو الليبرالية الاقتصادية في الحكومة، وهو معبر من الناحية القانونية، وبالتالي السياسية والاقتصادية، عن أعمق المصالح للقوى الرأسمالية العاملة في الاقتصاد السوري، سواء في جهاز الدولة أو خارجها.

خطوات لا بد منها

يزداد واقع عمال القطاع الخاص سوءاً، ومع هذا لم يجر داخل النقابات عمل جدي باتجاه هذا الواقع المأساوي المعاش، بالرغم من التأكيد في المؤتمرات والاجتماعات النقابية على أهمية العمل مع عمال القطاع الخاص، وتم تشكيل لجان في اتحادات المحافظات، والقيام بزيارات لبعض المواقع الإنتاجية الخاصة، من أجل شدّ العمال إلى المظلة النقابية، ولكن هناك ممانعة ضمنية من داخل الحركة النقابية- تتعلق بالخبرة والتجربة للعمل بهذا القطاع- ومن خارجها، وهو الأمر المتعلق بأرباب العمل وضغوطهم من أجل إعاقة أي عمل جدي يتكون داخل منشآتهم الإنتاجية بسبب تخوفهم من احتمالات أن يتحرك العمال من أجل مطالبهم وحقوقهم.

التوجه الفعلي بهذا الخصوص كان يتطلب موقفاً سياسياً وطبقياً من القيادة النقابية، وخبرة ودراية ومعرفة علمية بهذا الواقع، مع مجموعة من الخطوات التي تقنِّع العمال بأهمية انتسابهم للنقابات وبأنها تمثل مصالحهم، ويأتي في مقدمتها حقهم في الدفاع عن حقوقهم دون مُساءلة، وعبر أشكال مختلفة، منها: حقهم بالإضراب والاعتصام السلميين، وهذا ما لم تتبنهُ- إلى الآن- الحركة النقابية، وحقهم في التمثيل ضمن الأطر النقابية المختلفة، بما يتوافق مع وزنهم الفعلي في الطبقة العاملة، وهذا ما لم يتوفر حتى في الترتيبات الانتخابية الجديدة التي قاربت على نهايتها، وحقهم في المساواة التامة مع عمال قطاع الدولة بما يتعلق بنهاية الخدمة والسكن العمالي والقروض من المصارف... إلخ من القضايا.

لم يجر داخل النقابات عمل جدي باتجاه الواقع المأساوي المعاش بالرغم من التأكيد في المؤتمرات والاجتماعات النقابية على أهمية العمل مع عمال القطاع الخاص

رؤية المتغيرات

إن الاستمرار في العمل النقابي على الطريقة الحالية نفسها، مع عدم رؤية المتغيرات الجارية بواقعهم، يعني خسارة جزء هام من قوى الطبقة العاملة لصالح القوى الرأسمالية، وبالتالي: استمرار هذه القوى بالتحكم والسيطرة على مصالح العمال، وهذا لن يستمر طويلاً، مما يعني أن العمال سيبحثون عن الوسائل والأدوات التي ستمكنهم من استرجاع حقوقهم كافة، ولنا في تجاربهم الإضرابية عبرةٌ، وتوضح المآل الذي ستذهب إليه الطبقة العاملة من أجل الدفاع عن حقوقها الاقتصادية والديمقراطية، بالرغم من محدوديتها، ولكنها تحوي قدراً مهماً من النجاح من أجل زيادة أجورهم وبعض الحقوق الأخرى، وسيراكم العمال خبراتهم ومعارفهم العملية بهذا الخصوص، متخطين كل المعوقات التنظيمية وغيرها ليحققوا مطالبهم المشروعة.

عمل صعب ولكن مُجدٍ

العمل في القطاع الخاص ليس بالسهولة التي يجري العمل بها مع عمال قطاع الدولة، كون الأخير يخضع لقوانين لا يستطيع رب العمل الحكومي تجاوزها، بالقدر الذي يمكن لرب العمل الخاص القيام بالتجاوزات، مع أن العديد من التجاوزات القانونية تمت بحق عمال قطاع الدولة على أساس المادة 137 من قانون العاملين الأساسي، والذي بمقتضى هذه المادة لا يستطيع العامل أو من يمثله بأن يقاضي الجهة الحكومية التي تسببت بتسريحه من العمل بغير حق، ومع هذا، يبقى وضع عمال قطاع الدولة نسبياً في حالة أفضل من حيث بعض الحقوق المضمونة، منها التأمينات الاجتماعية ونهاية الخدمة... إلخ، ولكنّ عمال القطاع الخاص محرومون من هذه الحقوق، وإن حصلوا عليها فهي بالحد الأدنى لأجورهم.

إن العمل مع عمال القطاع الخاص في المراكز الإنتاجية، في المدن الصناعية وخارجها، يلقى مقاومةً من أرباب العمل ولا يُطربون أبداً لوجود النقابات داخل منشآتهم، مهما كانت هذه اللجان النقابية، حتى لو كانت مختارةً من قبلهم، لأن هذه اللجان ستكون خاضعة لضغط العمال ومطالبهم، فهي مضطرة للدفاع عن تلك المطالب المطروحة، وإن لم تفعل ذلك سينبذها العمال ويبدؤون بالتحرك من خارجها، كما حدث في عدة تجارب إضرابية في عدرا الصناعية وخارجها.

هذا هو واقع الحال الذي يعيشه العمال، هل بالإمكان تغييره؟ سؤال برسم الحركة النقابية والطبقة العاملة.

آسيا الوسطى والاتجاه الصعب بعيداً عن الأمريكي

أثارت الموارد الطبيعية الغنية في آسيا الوسطى منذ زمن طويل شهية الدول الاستعمارية، وبشكل خاص الولايات المتحدة الأمريكية التي كثفت نشاطها في المنطقة على نحوٍ ملحوظ خلال العام الفائت، بهدف ضمان احتكار النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري في مقابل تعاظم الدورين الروسي والصيني في المنطقة.

■ سعد خطار

بات كبار المسؤولين الأمريكيين ضيوفاً متكررين في دول آسيا الوسطى، وخلال 2019 هندست الولايات المتحدة قائمة سفرائها في المنطقة، ولاحظ بعض المحللين أن التعيينات الدبلوماسية الأمريكية مؤخراً تلفت الانتباه إلى أن معظم السفراء الجدد هم أشخاص لديهم خبرة كبيرة في الإستراتيجية العسكرية وفي تنظيم الانقلابات العسكرية والملوّنة. وتشير هذه الإجراءات التي اتخذتها واشنطن إلى أن الولايات المتحدة تسعى جاهدة من أجل تعظيم النفوذ السياسي والعسكري طويل الأجل في المنطقة، وهو أمر ذو أهمية حاسمة من وجهه النظر الجيوسياسية الأمريكية التي تتوقع أن هذا سيضع كلاً من روسيا وإيران في موقف صعب، مما يجعل عملية ممارسة الضغط على هذه الدول أكثر سهولة.

الانسحاب والتهديد بالانسحاب

شرعت الولايات المتحدة بحملة دعائية نشطة في المنطقة، مفادها أن الانسحاب الأمريكي منها من شأنه أن يستدعي موجة جديدة من التطرف والإرهاب، مدّعية أن المظلة العسكرية الأمريكية وحدها القادرة على تخليص المنطقة من هذه التهديدات، كما لو كان تهديداً لقادة هذه الدول: إما أن تتفقوا على إبقاء ما يمكن من نفوذنا لديكم أو لتتحملوا العواقب غير السارة لانسحابنا. وليس سراً أن واشنطن تحتفظ باتصالات غير معلنة مع المعارضة الأفغانية، وخاصة مع طالبان وعدد من القادة الميدانيين لقوات أخرى، ومؤخراً، أصبحت اتصالات الولايات المتحدة مع هذه المجموعات أكثر علانية. وعند الضرورة، سيّرت قواتها المسلحة نحو حدود بعض جمهوريات آسيا الوسطى، ولا سيما أفغانستان– أوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان. وقد تم اختبار هذا التكتيك منذ فترة طويلة. فعلى سبيل المثال، تعمل حركة «تركستان الشرقية الإسلامية»، التي أدرجتها القوى الغربية وروسيا في قائمة المنظمات الإرهابية، بنشاط ضد الصين في منطقة الإيغور المتمتعة بالحكم الذاتي، بدعمٍ واضح من الولايات المتحدة.

ومن المفارقات، أن «المساعدة» التي تقدمها واشنطن، والتي تهدف إلى تدريب وتجهيز العاملين في آسيا الوسطى في مجال الأمن، والمصممة حسب ما هو معلن لتوقف التدفق الكبير للأفيون من أفغانستان، لم تخفض تجارة المخدرات التي تجري عبر هذه المنطقة، بل بات واضحاً حتى بالنسبة إلى دول المنطقة «المعاندة» أن الولايات المتحدة حاضرة لضمان نفوذها لا أكثر.

معاداة الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ بعداً كبيراً وتنتشر على امتداد دول آسيا الوسطى... أما مشاعر العداء لروسيا فإنها تخبو شيئاً فشيئاً

وفيما يتعلق بالتدابير المضادة ضد الدور الصيني في المنطقة، فقد طالبت الولايات المتحدة بإصرار طوال عام 2019، جمهوريات ما بعد الاتحاد السوفياتي في آسيا الوسطى، بتقديم دعم نشط للمقاتلين الفارين من منطقة شينجيانغ المستقلة ذاتياً في الصين. مما أدى إلى اشتباك دبلوماسي بين بعض حكومات هذه الدول والصين التي لا تقبل المساومة على سلامتها وأمنها وسيادتها.

تنامي النزعة المعادية لواشنطن

مؤخراً، أولى القطب الروسي الصيني الصاعد أهمية كبيرة لتنامي المشاعر المعادية لروسيا والصين في آسيا الوسطى، وكان التعاطي مع هذه المسألة موضوعياً، ولم يستند إلى الإنكار الذي عادة ما تبديه الدول إزاء هذا النوع من المشاكل. ولأن حجم الاتجاهات العدائية إزاء روسيا والصين ليس كبيراً جداً بالنظر إلى الخلفية والروابط التاريخية في المنطقة، اعتمدت روسيا والصين على تعزيز عمليات التحديث في آسيا الوسطى، إلى حد بات يكثر فيه النظر إلى روسيا باعتبارها شريكاً مهماً، والأهم من ذلك، أن الخطر الإرهابي في المنطقة قد ساهم بشكل كبير في تعزيز هذه العلاقات، نظراً إلى الدور البناء لروسيا والصين في تعزيز استقرار أمن آسيا الوسطى. في المقابل، ساهم الغزو العسكري الذي قامت به الولايات المتحدة الأمريكية في العراق عام 2003، في ازدياد العداء للولايات المتحدة في آسيا الوسطى: فبينما رحبت السلطات الأوزبكية بهذه العملية، أبدى الشعب الأوزبكي وغيره من شعوب آسيا الوسطى قدراً كبيراً من السخط، ورأوا التدخل باعتباره عملاً من أعمال العدوان الأمريكي.

في الوقت الراهن، يمكن القول إن معاداة الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ بعداً كبيراً، وتنتشر على امتداد دول آسيا الوسطى، أما مشاعر العداء لروسيا فإنها تخبو شيئاً فشيئاً، ذلك أن القرب الجغرافي والجذور التاريخية والمصلحة الاقتصادية المشتركة واتضاح زيف الدعاية الأمريكية، قد صارت عوامل بيّنة بالنسبة لقطاعات متعددة من شعوب المنطقة، هذا عدا عن أنه ليس لدى واشنطن فعلياً ما تقدمه لقادة وشعوب المنطقة، حيث باتت حساباتها اليوم مقتصرة على إمكانية الخروج من المأزق بأقل تكلفة ممكنة.

ومع ذلك، حاولت الولايات المتحدة إقامة حوار مع دول آسيا الوسطى في إطار ما يسمى بمجموعة «الخمسة زائد واحد»، والتي تضم كازاخستان وتركمانستان وطاجيكستان وأوزبكستان وقيرغيزستان، إلا أنها لا تزال عاجزة عن خلق شبكة حلفاء لها في هذه المنطقة المهمّة من العالم.

ما يمكن قوله هو إن الاتجاه نحو تعميق العلاقات الثنائية مع كل من روسيا والصين، هو اتجاه موضوعي ناتج عن التغير في موازين القوى أصلاً، كما أن المصلحة العميقة للمنطقة في إطار المشروع الأوراسي ومشروع طريق الحرير الصيني الجديد هي ليست شيئاً قابلاً للنكران. من هنا، يمكن فهم الدفع الروسي الصيني المشترك في اتجاه تأسيس اتحاد يجمع دول آسيا الوسطى في منظومة واحدة تفتح الباب للحوار بين هذه الدول، وتقطع الطريق في الوقت ذاته على محاولة الولايات المتحدة أخذ دول هذه المنطقة فرادى.

لماذا اغتيال سليماني.. وماذا بعد؟

لا يختلف اثنان على أنّ عملية اغتيال الجنرال سليماني تشكل عتبة جديدة نوعياً، لا في الصراع الأمريكي الإيراني فحسب، بل وفي طبيعة ونوعية الصراعات الجارية على مستوى العالم بأسره. يمكن لمن يتابع مراكز الأبحاث الغربية والأمريكية خصوصاً، أنْ يلمس ما يشبه الإجماع بينها جميعها على أنّ العملية من حيث شكلها، وبغض النظر عن دوافعها وغايتها، تشكل خرقاً للأعراف غير المكتوبة للصراعات الدولية، والتي تتضمن عدم استهداف قيادات الصف الأول ومراكز القرار حتى خلال الحروب المباشرة. ويفسر أصحاب هذا الطرح حرمة استهداف قيادات الصف الأول بأنّ استهدافها يجعل إنهاء أية حرب أمراً متعذّراً، سواء بالتفاوض أو بالاستسلام، وهو ما يفتح الباب على انزلاقات خطيرة وغير مسبوقة...

■ عماد صائب الخالد

ربما يكون من المفهوم ميلُ مراكز بحثية ووسائل إعلام أمريكية إلى رفع درجة التهديد بالويل والثبور في إطار الصراع الداخلي الأمريكي، وفي إطار سعي الديمقراطيين المكشوف إلى الاستثمار في «حماقة» ترامب، لعل وعسى يؤدي ذلك إلى منعه من الاستفادة انتخابياً من العملية.

أهم من ذلك، هي حقيقة أنّ العملية بلا شك، تمثل عتبة تصعيد يصعب تخيل عتبة أعلى منها؛ إذ إن الحديث عن حرب مباشرة، هو أقرب لأن يكون خيالاً غير علمي.

حملة الضغط على إيران

اعتبر المسؤولون الأمريكيون أن العملية هي ضمن سياسة واشنطن في رفع الضغوط على إيران إلى الحد الأقصى لتحقيق الأهداف التي أعلنوها مراراً، ولكن ربط هذه الفكرة بأن التصعيد قد وصل إلى عتبته الأعلى فعلاً مع اغتيال سليماني، ودون أن يحقق الأهداف المعلنة، يوجه الذهن للتفكير بأهداف أخرى من العملية نفسها؛ فمن المعلوم أنك حين تصل إلى أقصى ما تستطيع دون تحقيق نتائج، فإنّ العتبة التالية لأفعالك ستكون أدنى بالضرورة، والأهداف الموضوعة من التصعيد ستصبح غير قابلة للتحقيق.

ما هي الأهداف الحقيقية للعملية؟

على أساس الكلام السابق، يمكن أن نضع مجموعة من الافتراضات الأولية للأهداف الأمريكية من الاغتيال:

أولاً، لا شك أنّ ترامب يحاول توظيف عمليات من هذا النوع، وعلى غرار عملية قتل البغدادي «إن كانت قد جرت من الأساس»، في إطار إعلامي انتخابي.

ثانياً، في إطار الصراع الداخلي الأمريكي نفسه، فإنّ ترامب يدفع التصعيد إلى نهاياته، لا من أجل استمرار التصعيد، بل بالضبط لإنهاء انخراط الولايات المتحدة في المنطقة ككل؛ لأن لعبة الاستنزاف طويل الأمد، عبر الفوضى الخلاقة وإدارتها المباشرة بالوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، هي لعبة القسم الفاشي من الإدارة الأمريكية الذي لا يريد أي انسحاب من المنطقة بعكس ترامب. ولعبة الاستنزاف طويل الأمد لها قواعدها، وعلى رأس تلك القواعد، إبقاء التصعيد ضمن حدود معينة. أي إنّ كسر ترامب لحدود التصعيد المرسومة ضمن المؤسسة الأمريكية، وبهذا الشكل العنيف، هو كسر لإمكانية استمرار الوجود الأمريكي في المنطقة بشكل واقعي، وعبر تكثيف الأخطار المباشرة التي سيتعرض لها الجنود الأمريكيون، ما يستدعي عودتهم بشكل سريع إلى بلادهم...

ثالثاً، تهدف العملية أيضاً إلى كسر صلة وصل أساسية بين مجموعة من القوى المحاربة للإرهاب والمعادية للأمريكان في المنطقة، الأمر الذي من شأنه تسهيل عملية الانكفاء الأمريكي، بالتوازي مع السعي إلى قسم تلك القوى.

رابعاً، بالخاص العراقي، فإنّ عملية قسم القوى المعادية للأمريكي، ستأخذ شكلاً ربما يكون أكثر حدة؛ ولعل المؤشرات الأولى المتعلقة بجلسة البرلمان المرتقبة وتعثر انعقادها، تعكس جزئياً الانقسام المقبل، والذي يستهدف ضمناً تأخير تطور الحركة الشعبية في العراق، والتي شبّت خلال الأسابيع القليلة الماضية عن طوق القوى التقليدية والطائفية إلى حد بعيد، ولذا بات من الضرورة بمكان إعادة قسمها على أسس مختلفة، على رأسها الطائفي.

خامساً، لا يغيب عن الذهن أيضاً، أنّ اغتيال سليماني بما يمثله من حلقة وصل بين محاربي داعش المباشرين في المنطقة، من شأنه ولو مؤقتاً أن يفتح لداعش بعض الثغرات لتتنفس منها مجدداً...

بالمحصلة، فإنّ عملية الاغتيال هذه، وإنْ كانت تبدو من حيث الظاهر معاكسة للاتجاه العام الواضح للأفول الأمريكي والانكفاء الشامل، فإنّها من حيث جوهرها تعزيز لذلك الاتجاه، بل ودفعه نحو عتبة جديدة سيزداد بعدها تسارع ذلك الانكفاء بشكل غير مسبوق.

مهمة بوتين الرئيسية عام 2020

قالت صحيفة **La Nouvelle Tribune**، إن روسيا ستستمر في العام الجديد، في تعزيز موقعها كدولة قوية، وستواصل حل التحديات التي تواجهها وذلك وفقاً لإستراتيجيتها السياسية.

في عام 2019 ، تمكنت روسيا من إجبار الكثيرين على التحدث عنها، وتعتزم مواصلة فرض «رؤيتها وأسلوبها»، مما سيعزز الوجود الروسي في الساحة الدولية.

وأشارت الصحيفة إلى أن الرئيس فلاديمير بوتين أعلن ذلك خلال كلمته بمناسبة الاحتفال بالعام الجديد.

ووفقاً للصحيفة، يواجه الكريملين العديد من الأسئلة والمسائل التي يتوقع حدوث تقدم كبير فيها. على سبيل المثال، يستمر الدفء بالتسلل تدريجياً إلى العلاقات بين كييف وموسكو: لقد كانت المفاوضات متوقفة منذ عام 2016، لكن صعود فلاديمير زيلينسكي إلى السلطة غير ميزان القوى. ونتيجة لذلك، في 29 ديسمبر الماضي، تمت عملية لتبادل الأسرى والسجناء بين أوكرانيا ودونباس، بعد التبادل الأول الذي جرى في 7 سبتمبر.

وشددت الصحيفة على أن روسيا ورغم منح سلطات كييف المجال للمناورة، أكدت أنها «لن تبدأ أي مفاوضات بشأن شبه جزيرة القرم».

والقضية الأخرى المهمة للكريملين هي العلاقات مع الصين وإيران، إذ تواصل الصين بشكل متزايد ترسيخ نفسها كقوة مهيمنة في الشرق، وتريد إيران أيضاً ترسيخ مكانتها وتكتسب المزيد من الأهمية في المنطقة بعد تعزيز دورها في الحرب في سورية.

الآن يبدو أن هذه الدول الثلاث، تقف على نفس الموجة ولا تتوقف عن التقارب: على سبيل المثال، في الفترة من 27 إلى 30 ديسمبر، شهد المحيط الهندي مناورات بحرية روسية– صينية– إيرانية مشتركة.

ويشير هذا المقال إلى أن هذا التحالف الإستراتيجي بين الدول الثلاث، مرتبط مباشرة بالحرب في سورية. ويبدو أن موسكو، باعتبارها أحد أركان هذا الصراع، تكافح جاهدة لمساعدة نظام الأسد لكي يتمكن مجدداً من الوقوف على الطريق الصحيح مرة أخرى، وفي عام 2020، يبدو أنها ستلعب الدور المفصلي الرئيس في هذه القضية، وربما ستتمكن لوحدها من حل الأزمة السورية بجوانبها السياسية والإنسانية– وطبعاً ستطرح من جانبها مطالب صارمة.

وما يشير إلى صحة هذا الطرح، هو الدور الذي لعبته روسيا في كبح حدة الهجوم الذي شنه الجيش التركي على شمال شرق سورية.

هل يقف لبنان على مشارف الجوع؟

قال رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني، وليد جنبلاط، إن لبنان على مشارف الجوع والانهيار، فماذا عن الإحصائيات الاقتصادية؟

■ المحلل السياسي الكسندر نازاروف

نعم، قد يكون الجوع ممكناً في ظل ظروف معينة. فلبنان ينتج طعاماً أقل بكثير مما يستهلك، وتعطي المصادر المختلفة أرقاماً مختلفة بهذا الشأن. على سبيل المثال، تشير أرقام منظمة الأغذية العالمية لعام 2016، إلى أن كل ما أنتجته الزراعة اللبنانية بلغ حوالي مليارَي دولار. ووفقاً للمؤسسة العامة لتشجيع الاستثمارات في لبنان، فقد كان إنتاج الغذاء في لبنان عام 2018 يبلغ ما قيمته 1,4 مليار دولار، وحققت صادرات الأغذية، التي تعتمد بالأساس على الخضروات والفاكهة، 1,1 مليار دولار. كذلك بلغت الصادرات 0,8 مليار دولار، والواردات الغذائية 3,6 مليار دولار، وفقا لبيانات البنك اللبناني «بنك ميد" Bankmed لعام 2014.

وبغض النظر عن اختلاف البيانات بتنوع المصادر، فمن الواضح أنه حتى لو توقف اللبنانيون عن تصدير الغذاء، وتحولوا بالكامل إلى نظام غذائي يعتمد على الطماطم والبرتقال، فسيظل إنتاج البلاد أقل من نصف ما يستهلكون.

أما في حالة وقوع انهيار مصرفي، أو انخفاض حاد في قيمة العملة الوطنية، أو تضخم مفرط أو أي حدث آخر، يوقف، ولو مؤقتاً، واردات الأغذية إلى لبنان، فإن الجوع وارد.

دعونا نفهم الآن ما إذا كان الانهيار ممكنا أم لا؟

إن السبب الأساس للأزمة الاقتصادية اللبنانية هو أن اللبنانيين كانوا يعيشون لعدة عقود أفضل بكثير مما تسمح به إمكانياتهم، فزادت الليرة اللبنانية من القدرة الشرائية لكل لبناني لعدة أضعاف، على نحو مصطنع، في الوقت الذي قام فيه البنك المركزي اللبناني بتشجيع ودعم الاستيراد.

لبنان يستورد أكثر من صادراته

والنتيجة، أن لبنان كان يستورد أكثر من صادراته بشكل مزمن، ولإنقاذ الوضع، استلف البنك المركزي والحكومة قروضاً ضخمة، أدت لارتفاع ديون البلاد إلى 150% من الناتج المحلي الإجمالي، وهو ما دفع إلى مزيد من الاقتراض، وهو وضع لا يمكن أن يستمر للأبد.

لذلك فإن ما يحدث الآن، هو أن هذا النموذج قد بدأ فعلياً في الانهيار، وبالتالي يتحتم على التجارة الخارجية وتدفقات رأس المال عاجلاً أم آجلاً أن يتوازنا. ووفقا لمعلومات المؤسسة العامة لتشجيع الاستثمارات في لبنان لعام 2018، فإن واردات البلاد قد بلغت 19,9 مليار دولار، في الوقت الذي بلغ فيه حجم الصادرات 2,9 مليار دولار، بمعنى أن الطريق لتحقيق التوازن في التجارة الخارجية، هو خفض الواردات بنحو 7 أضعاف، بالإضافة إلى ضرورة مراعاة الميزان السلبي للمدفوعات.

لقد بلغ العجز في الحساب الجاري للبنان «الميزان التجاري + ميزان المدفوعات» 14,4 مليار دولار لعام 2018، وفقاً لصندوق النقد الدولي، بينما بلغ العجز التجاري 13,7 مليار دولار.

أي أنه في الوقت الحالي، وحتى مع الأخذ في الاعتبار القروض الجديدة، فليس للبنان دخل كاف للواردات، بما في ذلك واردات الغذاء والبنزين، واضطر لاستهلاك الاحتياطيات بقيمة 4 مليارات دولار عام 2018، وفقاً لصندوق النقد الدولي.

لبنان كان يستورد أكثر من صادراته بشكل مزمن ولإنقاذ الوضع استلف البنك المركزي والحكومة قروضاً ضخمة

الدين الخارجي للبنان

كذلك يقدّر صندوق النقد الدولي الدين الخارجي للبنان «الحكومة والمصارف والشركات» بنحو 190% من الناتج المحلي الإجمالي، أو 107 مليار دولار، أي بمعدل 15,5 ألف دولار لكل مواطن لبناني، بمن فيهم الأطفال والمتقاعدون. كذلك تقدّر حاجة لبنان «الحكومة والمصارف والشركات» للتمويل الخارجي السنوي من قبل صندوق النقد الدولي بنحو 177% من الناتج المحلي الإجمالي، أو 98,1 مليار دولار في السنة. بمعنى أن هذا هو المبلغ الضروري كي لا ينهار الهرم المالي اللبناني، وهو يتألف من تدفق الودائع الأجنبية إلى المصارف اللبنانية، والقروض والتحويلات اللبنانية وغيرها. إلا أنه بالإمكان توقع انخفاض هذا التدفق من العملات بشكل حاد، خاصة بعد تجميد المصارف اللبنانية للودائع، فإذا فشلت الحكومة والمصارف والشركات في اجتذاب تمويل خارجي بهذه القيمة، فسيبدأ رد فعل متسلسل، يمس الاقتصاد اللبناني بأكمله، يؤدي في النهاية إلى إفلاس البلاد.

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن جميع الأرقام المذكورة مرتفعة من الماضي المزدهر، وقبل أن يعترف النظام المصرفي اللبناني بالصعوبات والقيود المفروضة.

مراجعة حتمية ربط الليرة بالدولار

سيتم إجبار لبنان، عاجلاً أم آجلاً على التخلف عن سداد الديون، حيث أنه، وفقاً لصندوق النقد الدولي، لن يتمكن من سداد الديون. وبعد ذلك سوف تتم مراجعة حتمية ربط الليرة بالدولار، وحينها ستضطر التجارة الخارجية إلى الوصول إلى التوازن، أي لتصبح الواردات مساوية للصادرات. وفي هذه الحالة، من الضروري مراعاة عواقب الانهيار المالي على الاقتصاد والأعمال، بما في ذلك التصدير.

باختصار، يجب أن أتفق مع كلمات وليد جنبلاط، فالكارثة الإنسانية تكاد تكون حتمية في لبنان، إذا لم تتلق البلاد على الفور مليارات الدولارات من مصادر دولية. لكن، حتى لو حدث ذلك، فإنه سوف يؤجل الكارثة فحسب، ولن يمنعها، لأن ما ستفعله هو المحافظة على المستوى الحالي للاستهلاك، ولتحقيق ذلك هناك حاجة إلى مساعدة سنوية بقيمة عشرات المليارات من الدولارات، والقيمة المطلوبة لتجنب انهيار الاقتصاد سوف تنمو كل عام.

مبادلة السيادة الوطنية

لقد حذرت هنا، منذ عام تقريباً، أن الغرب سوف يرتب كارثة اقتصادية للبنان لكبح نمو حزب الله. لسوء الحظ، لن تنجح مبادلة السيادة الوطنية بالحصول على المساعدة لمرة واحدة فقط، وسيتعين على لبنان إما أن يمضي قُدماً نحو الكارثة مرة واحدة، أو أن يثبت لـ «أصحاب المال» كل عام أن تنازل لبنان يستحق الأموال التي تنفق عليه، ومع هذا وذاك، لابد للاقتصاد اللبناني أن يتوازن عاجلاً أم آجلاً، أي أن مستويات المعيشة ستنخفض حتما بشكل كبير.

وهنا أنصح كل عائلة لبنانية أن تخزن الدقيق والأرز وغيرها من السلع الأساسية الأخرى. أذكر عندما حاصر الجيش الأوكراني مدينة لوغانسك عام 2014، وتوقف عن تزويد المدينة بالطعام، كان أقربائي يأكلون المربى والفواكه المعلبة الأخرى التي خزنوها في منازلهم الصيفية لعدة أسابيع، لكن كثيراً من السكان كانوا يتضورون جوعاً. فكثير من الناس في المجتمعات المزدهرة يتصورون أن المنتجات تنبت على رفوف المتاجر، لكن الواقع غير ذلك تماماً.

مخيم الوافدين.. معاناة واستغلال!

تسع سنوات من الأزمة السورية- وما زالت الأزمات تتفاقم أكثر فأكثر على جميع المستويات وفي مختلف المناطق السورية، بدءاً من تدني مستوى المعيشة وانتهاءً بأبسط الحقوق، وهو تأمين أسطوانة الغاز مثلاً، وتتزامن هذه الأزمات مع قدوم فصل الشتاء.

■ مراسل قاسيون

هذه هي المعاناة التي يعيشها أهالي مخيم الوافدين في ريف دمشق، الذي يقطنه عدد كبير من المواطنين بالإضافة إلى الوافدين إليه لاحقاً، بالإضافة إلى النقص الحاد في الخدمات المقدمة للمخيم من شبكة الصرف الصحي والشوارع المحفَّرة... إلخ، علماً أنه يتم الحديث الدائم من قِبل رئيس بلدية المخيم بالعمل على حل المشكلات حسب الإمكانات والأولويات.

استغلال أزمة الغاز

يعتبر تجمع مخيم الوافدين من أقرب المناطق لـ «مركز توزيع الغاز» في منطقة عدرا، والتي لا يبعد عنها سوى بضعة كيلو مترات، إلا أنها تعاني من مشاكل في مراكز التوزيع الفرعية في التجمع المذكور، الذي يعتمد على نظام القسائم، أي التسجيل المسبق في البلدية أو لدى المختار للحصول على قسيمة تحمل رقم تسلسلي، تخوِّل صاحبها شراء أسطوانة واحدة لكل شخص بموجب «البطاقة الذكية» كما هي العادة وحسب المواعيد المفترضة للتبديل.

إلا أن الشكوى التي وردتنا مؤخراً تُفيد بعدم الحصول على مادة الغاز لعدد من أهالي التجمُّع، رغم حصولهم على قسيمة «رقم تسلسلي»، علماً أن صاحب المركز قد قام بتسجيل أسماء المواطنين الذين تم حضورهم لديه بالرقم التسلسلي في اليوم الأول، وبحجة عدم كفاية الكمية من الأسطوانات للأعداد الموجودة في السجل، فقد تم تأجيل دورهم لليوم التالي. وفي اليوم التالي كانت المفاجأة: معظم حاملي القسائم لم يحصلوا على نصيبهم من مادة «الغاز»، وكانت الذريعة هذه المرة هي فقدانهم للورقة التي تم التسجيل عليها. وبالتالي، فهم مضطرون بعدها إلى إعادة التسجيل من جديد والحصول على قسيمة تحمل رقماً جديداً، أي «دخل زيد بعبيد وضاعت الطاسة» بحسب أحد المواطنين.

وهنا قد يكون صاحب المركز قد حقَّق هدفه، وقام ببيع أسطوانات الغاز بأسعار مرتفعة، بعد استحواذه على بعض البطاقات «الذكية» لقاء مبلغ معين، كما أكَّد بعض الأهالي، الذي قال أحدهم: «بيقولوا خلصوا جرات الغاز.. بعد شوي منصير نشوف جرات غاز حقها هديك الحسبة... طيب منين إجو جرات الغاز؟».

أزمة مازوت

بحسب بعض الأهالي، قبل انتهاء العام 2019 بأسبوع تقريباً، تم الإعلان عن وصول مادة المازوت– الدفعة الثانية عبر مئذنة الجامع في المخيم، وهي ليست المرة الأولى، وأنه سيتم التوزيع هناك بموجب البطاقة الذكية. وأنَّ عملية التعبئة ستكون خلال يومين فقط، وإن لم تتم التعبئة خلال يومين فقط– فقد يخسر المواطن حقه في الحصول على مادة المازوت. مما دفع بعض الأهالي إلى بيع حقهم بموجب البطاقة الذكية لقاء مبلغ محدود لبعض السماسرة الذين استغلوا فرصة عامل الزمن المحدود والضاغط، وذلك لعدم توفر ثمن التعبئة لدى هؤلاء المواطنين، وخاصة بالتزامن مع نهاية الشهر والأعباء المعيشية وغلاء الأسعار في نهاية السنة أيضاً. علماً أنه إلى الآن هناك الكثير من الأهالي لم يتمكنوا من الحصول على الدفعة الأولى من مادة المازوت لنفس السبب المتعلق بعدم توفر ثمن التعبئة، واضطروا أيضاً إلى بيع قسائمهم.

هذا الحصار الزمني الذي تم التقيّد فيه هذه المرة، والذي فسح المجال أمام المستغلين للاستفادة منه والضغط على المواطنين، منع الكثيرين من قاطني المخيم من حقهم من التدفئة بمادة المازوت في هذا البرد القارس للأسف!

وكما قال أحدهم: «تزداد معاناتنا يوماً بعد يوم ولا أحد يستجيب.. يكفينا معاناة نستحق الأفضل!».

منتسبو خزانة تقاعد المعلمين ومطلب محق

وردت إلى قاسيون شكوى من بعض المعلمين المتقاعدين، المستحقين للراتب التقاعدي المنصوص عليه بموجب قانون خزانة تقاعد المعلمين، مفادها المطالبة برفع رواتبهم التقاعدية من الخزانة بما يتناسب والزيادة الأخيرة على الأجور، خاصة مع ظهور فجوة كبيرة بهذه الرواتب بين المتقاعد قبل الزيادة والمتقاعد بعدها.

■ مالك أحمد

فارق الراتب قبل الزيادة وبعدها أصبح بحدود 7000 ليرة شهرياً وهو فارق يستحق المطالبة به من باب العدالة والانصاف

فبحسب قانون خزانة المتقاعدين رقم 9 لعام 2016، يمنح الراتب التقاعدي للمعلم الذي أمضى مدة اشتراك لا تقل عن 25 عاماً بنسبة 25% من الأجر الشهري المقطوع، وذلك عند انتهاء خدمته بالسن أو بالاستقالة وفق آخر راتب شهري تقاضاه.

حساب الفارق التقاعدي

على إثر الزيادة الأخيرة على الأجور، ظهر تفاوت في المعاشات التقاعدية للمستحقين من الخزانة، حيث أصبحت هناك شريحتان، شريحة ما قبل الزيادة، وشريحة ما بعدها، والفارق في المعاش التقاعدي المحسوب وفقاً لنسبة الـ25% من آخر أجر شهري مقطوع أصبح بحدود 7000 ليرة.

وبالحساب فإن الزيادة على الأجور أقرت بمبلغ 20 ألف ليرة، وقد أضيف مبلغ التعويض المعيشي البالغ 11500 ليرة للأجر المقطوع أيضاً، أي بمجموع وقدره 31500 ليرة، ونسبة الـ25% منها هي /7875/ ليرة، وهو المبلغ الشهري الذي خسره المتقاعدون من الشريحة الأولى ما قبل الزيادة، بالمقارنة مع شريحة المتقاعدي ما بعد الزيادة، وبالتالي أصبح المضمون التنفيذي لقانون الخزانة فيه نوع من الإجحاف بحق الشريحة الأولى، في الوقت الذي من المفترض أن يكون القانون منصفاً لجميع منتسبي الخزانة.

مطالبة بالإنصاف

المتقاعدون قبل الزيادة من الشريحة الأولى يطالبون برفع الظلم عنهم، ومساواتهم مع المتقاعدين بعد الزيادة، من خلال إعادة النظر براتبهم التقاعدي المحدد بنسبة الـ25% من الأجر الشهري المقطوع لآخر راتب تقاضوه، فهؤلاء لم يخسروا فقط النسبة بموجب الزيادة على الأجر الأخيرة البالغة 20 ألف ليرة، بل وخسروا أيضاً النسبة من الجزء المضاف على الأجر المتمثل بالتعويض المعيشي البالغ 11500 ليرة أيضاً، والنتيجة، أن فارق الراتب للمتقاعد قبل الزيادة وبعدها أصبح بحدود 7000 ليرة شهرياً بالحد الأدنى كما أسلفنا، وهو فارق يستحق المطالبة به من خزانة التقاعد من باب العدالة والإنصاف بين هاتين الشريحتين من المتقاعدين، طالما أنهم يستظلون بنفس القانون، الذي ألزم الجميع بالانتساب للخزانة.

مكتسب نقابي للمعلمين

لا شك أن «خزانة تقاعد المعلمين» تعتبر من الإنجازات الهامة التي تم تحقيقها من خلال تكاتف جهود المعلمين ونقابتهم.

فبعد سنين طويلة من النضال النقابي للمعلمين صدر القانون رقم 9 لعام 2016، والذي تم بموجبه إحداث «خزانة تقاعد المعلمين»، والانتساب إليها يعتبر إلزامياً لكل من يتمتع بالعضوية الطبيعية في نقابة المعلمين، وذلك لقاء رسم انتساب مقطوع وقدره /1500/ ليرة يسدد لمرة واحدة، بالإضافة إلى اشتراك شهري مقداره 3% من الأجر الشهري المقطوع للمنتسب، وذلك لقاء بعض المكتسبات لهؤلاء المنتسبين والمرتبطة بحقهم بالحصول على معاش تقاعدي وفقاً لبعض الشروط، بما في ذلك بعض الشروط الخاصة بالمعاش، في حال الوفاة، للورثة.

كما تضمن القانون الكثير من الحيثيات المرتبطة بالنظام الداخلي والنظام المالي والمحاسبي للخزانة ونظام الاستثمار، بالإضافة إلى موارد الخزانة، والصلاحيات الممنوحة للمجلس المركزي للنقابة بشأنها، مع الضوابط اللازمة بهذا الصدد.

القانون يجيز

لقد قال هؤلاء إن قانون خزانة التقاعد فسح المجال لإقرار زيادة نسبة المعاش التقاعدي.

فقد ورد بالفقرة /ك/ من المادة /8/ من القانون 9، الفصل الرابع المتعلّق باختصاصات المجلس المركزي لنقابة المعلمين، ما يلي: «مناقشة وإقرار زيادة نسبة المعاش التقاعدي المستحق بناءً على اقتراح معلَّل من مجلس الإدارة».

أي إن مطلب هؤلاء بالإنصاف قابل للتنفيذ قانوناً، وهو بعهدة «المجلس المركزي لنقابة المعلمين».

كما تقدم هؤلاء باقتراح تعديل يتضمن حد أدنى متحرك للراتب التقاعدي بما يتناسب مع المتغيرات الطارئة على الأجور بشكل عام، وبما يضمن العدالة والإنصاف لجميع منتسبي خزانة التقاعد، ويستشهدون بما قامت به نقابة المهندسين مؤخراً بهذا المجال، حيث رفعت الرواتب التقاعدية للمستحقين لديها بحيث أصبح 40 ألف ليرة شهرياً.

فهل سيستجيب المجلس المركزي لهذا المطلب المشروع والمحق؟. برسم نقابة المعلمين ومجلسها المركزي.

قطاع الإسمنت مستنزف فساداً

خبر ملفت تداولته وسائل الإعلام خلال الأسبوع الماضي، جوهره أن تكلفة طن الإسمنت في سورية أعلى بكثير من تكلفته في دول الجوار، وتصل نسبة الفارق لأكثر من 100%، والتقييم كان بالدولار.

■ سمير علي

الخبر أعلاه ورد في معرض الحديث عن المؤتمر الثاني لتكنولوجيا صناعة الإسمنت للعام 2020 المقرر انعقاده بداية العام الحالي، وذلك على لسان مدير عام شركة تكنولوجيا الإسمنت ومواد البناء «سيم تك»، عبر إحدى الصحف المحلية شبه الرسمية بتاريخ 2019/12/30.

التركيز يجب أن يجري على الجوانب المرتبطة بأوجه الفساد كي يتم التخفيض الحقيقي على التكلفة مع التأكيد على أهمية تطوير التكنولوجيا المستخدمة بهذا القطاع

دراسة وأرقام

بحسب مدير عام «سيم تك»، أنه: «بعد دراسة كلفة إنتاج الطن من الإسمنت، كانت النتيجة أن المنتج المحلي غير منافس سعرياً، إذ إن أسعار الإسمنت في سورية مرتفعة جداً بسبب ارتفاع كلف الإنتاج، وكتشريعات، يمنع استيراد الإسمنت، لكن في حال تغير الوضع وسمح بالاستيراد، فهذا الموضوع كفيل بإغلاق مصانع الإسمنت المحلية بسبب عدم قدرتها على المنافسة»،

كما أضاف موضحاً: «بالأرقام إن تكلفة طن الإسمنت في سورية تتراوح بين 90 إلى 110 دولاراً، علماً بأن كلفة الطن في إيران تتراوح بين 20 إلى 30 دولاراً، وهناك قدرة على إيصاله إلى سورية بسعر يتراوح بين 40 إلى 50 دولاراً بالجودة نفسها، وفي مصر تقارب تكلفة طن الإسمنت 50 دولاراً، ويعتبر مرتفعاً، لذا هناك مطالب بدعم حكومي لهذه المادة لتخفيض كلف الإنتاج قدر الإمكان»،

الفساد يرفع الكلف

المفروغ منه، أن الأرقام أعلاه بموجب الدراسة المعلن عنها تعتبر صادمة، وبحاجة للكثير من التدقيق والتمحيص لمعرفة أسباب هذ الفارق في التكلفة، مع العلم أن بعض جوانب هذه التكلفة المرتفعة ربما يمكن أن تعزى لبعض أوجه الفساد، ارتباطاً بحلقات الإنتاج والتوزيع والتسويق، مع عدم تغييب عامل الهدر ونسبه، المرتبط بالتكنولوجيا المستخدمة بالعملية الإنتاجية، والذي تستفيد منه حلقات الفساد أيضاً، وربما بعضها الآخر مرتبط بتكاليف مدخلات الإنتاج نفسها، مع العلم أن الجزء الهام من هذه التكلفة والمتعلقة بالأجور تعتبر بحدودها الدنيا، وهي مضغوطة ومستنزفة حتى النهاية، وبالتالي، فإن التركيز يجب أن يجري على الجوانب المرتبطة بأوجه الفساد أولاً وآخراً، كي يتم التخفيض الحقيقي على التكلفة، مع التأكيد على أهمية تطوير التكنولوجيا المستخدمة بهذا القطاع الإنتاجي، حيث يعتبر هذا العامل من عوامل تخفيض التكلفة بالإضافة لكونه يرتبط بزيادة الإنتاج ويحد من الهدر.

صناعة حيوية

بالحديث عن الإسمنت ومؤتمره الثاني القادم، تجدر الإشارة إلى المؤتمر الأول الذي تم انعقاده خلال شهر نيسان من العام الماضي على مدى يومين، والذي بحث بحسب سانا: «واقع صناعة الإسمنت في سورية ودور هذه الصناعة الحيوية في تلبية احتياجات البناء والإعمار وآفاق تطويرها ورفدها بأحدث التقنيات لتمكينها من الاستجابة لمتطلبات مرحلة إعادة الإعمار، وتخفيض كلف الإنتاج بما يجعل منتجاتها قادرة على المنافسة وتنعكس إيجاباً على أسعار المنشآت والأبنية السكنية والخدمية».

ولعل المفروغ منه ونحن على عتبات مرحلة إعادة الاعمار أن يتم العمل جدياً على دعم هذه الصناعة، وخاصة العامة منها، مع تخليصها من صعوباتها ومعيقاتها مع تطوير التكنولوجيا المستخدمة بها.

أما الأهم، فهو العمل على ضرب أوجه الفساد القائمة على هامش هذه الصناعة وبعمقها وعلى مستوى كامل حلقاتها.

أما الحديث عن «التشاركية» بهذا القطاع فقد سبق أن تم تسليط الأضواء عليها، كما سبق وأن كانت النتائج لبعض أشكالها كارثية على مستوى التطبيق في بعض المعامل العامة، مع عدم إعفاء التشاركية من تهمة الفساد الرافع للتكلفة أيضاً.

فيسبوكيات

نفتتح فيسبوكياتنا لهذا العام مع بوست تهكمي معاد بنكهة البرد والصقيع، يقول البوست:

● «بسبب موجة البرد السائدة وقلة المازوت والغاز والكهربا.. واحتراماً للمشاعر وعدم الإحراج.. إذا رحت زيارة لعند حدا وقام بدو يشعل الصوبيا.. قوم عليه وقوووول: والله ما بتشغلها يارجل.. يا عيب الشوم شو نحنا جايين نجربك.. والله قبل شوي اتدفينا وجينا..».

وعن الواقع الكهربائي، ما زال هناك بوست قديم ويعاد تداوله يقول:

● «نحنا السوريين مو شايفين حدا قدامنا.. موووووو تكبر والله.. بس ما في كهربا لنطس».

من صفحة الحكومة وحول موضوع دراسة «مشروع قانون بإعفاء القروض الممنوحة من «صندوق الأعلاف» لمربي الثروة الحيوانية من فوائد وغرامات التأخير المستحقة بهدف تخفيف العبء عن مربي الثروة الحيوانية وتمكينهم من سداد التزاماتهم المالية»، علق بعض المواطنين بما يلي:

● «نزلو سعر علف البقر لحتى المربي يتشجع يربي».

● «ما ضل شي ثروة حيوانية..».

وحول ما ورد على صفحة الحكومة أيضاً بأن: «لجنة التنمية البشرية في رئاسة مجلس الوزراء ناقشت المصفوفة التنفيذية المتضمنة خطة عمل وزارة التربية لعام 2020 ورؤيتها في تطوير العملية التربوية..»، علق البعض بالتالي:

● «وليش ما يتم عرض الخطة على أبناء الجمهورية العربية السورية..؟؟».

«مدخلات ومخرجات ومصفوفة و90% من العاملين لا يعلمون معانيها».

● «صف حكي وما حدا فهمان شي وما حدا لحدا».

ومن صفحة الحكومة بأن «لجنة التنمية البشرية في رئاسة مجلس الوزراء درست مشروع الصك التشريعي الخاص بتعديل قانون المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، وأوصت بإعادة الموضوع إلى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل لصياغته»، علق بعض المواطنين بما يلي:

● «المشروع لتزيد المؤسسة دخلها مو لنشر المظلة... يعني معروف أي مشروع ما في عائدية مالية أكيد ما حتدخلو.... ليش ما بيحكوا بصراحة».

● «لازم أولاً يسهلو مراجعة المواطن السوري المتقاعد إلى دائرة التأمينات بيروح الواحد بيهلك على صعود ونزول الدرج في تأمينات دمشق وين عمل النافذة الواحدة الصورية».

ونختم أيضاً مع بوست تهكمي جديد متداول عن واقع التيار الكهربائي، المتردي والمعمم في سورية، وذلك على الصفحات العامة والخاصة، يقول البوست:

● «المحكومين إعدام بالكهربا بكل محاكم العالم.. طلبوا اللجوء لسورية!».

وناقل الكفر ليس بكافر.

خلف الرازي.. عام إضافي يستنزف الحقوق

عام جديد مضى دون جدوى على الموعودين بالسكن البديل الخاص بشاغلي مشروع خلف الرازي من قبل محافظة دمشق، مع إضافات زمنية مفتوحة على التنفيذ أوصلت هؤلاء إلى سقوف مغلقة على الحقوق، في الوقت الذي تتغنى فيه المحافظة بالإنجازات المحدودة بمشاريعها السكنية السياحية في منطقتي «ماروتا سيتي» و«باسيليا سيتي».

■ عادل ابراهيم

فحصيلة العمل في مشروع 66 خلف الرازي منذ عام 2012. تتمثل بأن محافظة دمشق منحت حتى الآن ثلاث رخص لبناء المقاسم السكنية في «ماروتا سيتي» فقط، مع الكثير من التطبيل والتزمير بهذا الإنجاز، الذي ترافق مع مراوحة ملف السكن البديل بمكانه.

تفاصيل مكرورة

ربما لا بدَّ من التذكير أن مرسوم 66 الخاص في منطقة خلف الرازي صدر بعام 2012، وقد كان من المفترض أن يتم تنفيذ المشروع الخاص بها بموجبه خلال مدة 4 سنوات، مع تأمين السكن البديل للشاغلين فيها أيضاً، بالإضافة إلى الاحتفاظ بحقوق الملكية.

لن نخوض بتفصيلات ما جرى خلال السنوات الطويلة الماضية بما يخص هذا المشروع «ماروتا سيتي» مع توسعه اللاحق «باسيليا سيتي» وما آلت إليه الحقوق بهذه المشاريع العملاقة، الورقية حتى الآن غالباً، فقد سبق أن كُتب عنها الكثير عبر العديد من وسائل الإعلام، بما في ذلك «قاسيون» طبعاً، مع لحظ الكثير من التفصيلات والمعطيات التي تبدلت خلال هذه الفترة الطويلة، وخاصة على مستوى عامل الزمن واستنفاذه المقترن بالقليل من الإنجازات على المستوى التنفيذي، بل ما سنقف عنده هو بعض المعلومات التي رشحت خلال العام الماضي من المنطقة، والموعودين بالسكن البديل فيها، عن السكن البديل المزمع وتكاليفه فقط.

أعلى سعر للمتر المربع

مدير الدراسات الفنية في محافظة دمشق صرح سابقاً ما يلي: «تصل كلفة تنفيذ السكن البديل لـ«ماروتا سيتي» إلى 280 مليار ليرة، من أجل تنفيذ حوالي 4700 شقة، فيما تبلغ كلفة تجهيز البنى التحتية لها 100 مليار ليرة»، وذلك حسب موقع «الاقتصادي» بتاريخ 2019/10/15.

تفنيد التصريح أعلاه رقمياً يعني أن الكلفة التنفيذية لكل شقة سكنية يقارب 59 مليون ليرة، ومع إضافة الـ100 مليار الخاصة بالبنية التحتية تصل التكلفة إلى 80 مليون لكل شقة تقريباً.

مع عدم إغفال بعض الطروحات خلال العام الماضي التي اقترحت مناطق أخرى في ريف دمشق لتنفيذ السكن البديل الموعود، ربما من المفيد التذكير بما صرح به أحد أعضاء مجلس محافظة دمشق مطلع شهر حزيران 2019 عن السكن البديل في المنطقة بحينها بأن: «مساحة الشقة الواحدة لن تقل عن الـ40 متراً مربعاً»، أي أن سعر المتر المربع قد يصل إلى 2 مليون ليرة بناء على الحسابات أعلاه، وهو أعلى من أعلى سعر من الممكن تخيله، ليس في دمشق فقط، بل في الكثير من المدن المكتظة ومرتفعة الأسعار حول العالم أيضاً.

أما المفارقة فهي أنَّ هذا السعر المرتفع سيتم تكبيده افتراضاً للشاغلين الذين تم إخلاؤهم في الوقت الذي لا يجد فيه غالبية هؤلاء ما يسدون به رمقهم!.

مشاريع النخبة وهضم الحقوق

من المفروغ منه، أن عامل الزمن المستنزف يوماً بعد يوم، وعام يتبعه أعوام، لا يصب إلا في خانة مصالح شريحة النخبة المترفة المستهدفة فعلاً من مثل هذه المشاريع، والمتغوّلة بها على حساب الكثيرين من أصحاب الحقوق، بما في ذلك المستحقين للسكن البديل.

وبهذا الصدد نقتطع بعض مما ورد في «قاسيون» بمادة تحت عنوان «ماروتا سيتي» هل من سكن بديل؟» بتاريخ 2018/6/24: «فإذا كان مشروع «ماروتا سيتي»، الذي جرى تسويقه وترويجه على أنه سيكون نموذجاً يُحتذى به على المستوى التنظيمي لبقية المناطق المزمع تنظيمها على طول الخارطة السورية، بهذا الشكل، وهضم الحقوق والابتلاع من قبل الأثرياء، فكيف سيكون حال بقية المناطق لاحقاً؟».

ونختم بالإشارة إلى المنطقة الجديدة التي دخلت خط الاستثمار السكني والسياحي على نفس المنوال النخبوي والترفي، وهي منطقة بساتين كيوان، حيث بدأت تُطلق وعود السكن البديل للشاغلين فيها، مع الكثير من البهرجة عن الحقوق المصانة أيضاً، بالإضافة إلى منطقة القابون الصناعية وما يجري حولها من أخذ ورد بين أصحاب الحقوق فيها بمواجهة المحافظة.

الفرحة المحبوسة جواتنا!

بس هل المرة.. رح نبعد عن قصة المعيشة، وعن أدان الحكومة اللي عاملة حالا مو سمعانة وجع الناس! لأنو هل المرة في شي وجّع كتيرين من الكبار والصغار- رجال ونسوان... كان موعدو مع راس السنة..

■ دعاء دادو

يمكن بكل راس سنة أو بكل احتفال أو مناسبة أو عيد.. عم يحاولوا المسحوقين من السوريين إنو يجربوا الفرح... بس للأسف ما عم ينجحوا!

جربتو إنو تنتقلوا بحزنكون وقهركون من سابع سما للأرض كرمال تفرحوا؟

هاد اللي حاول أغلب السوريين يلي عايشين ع الهامش إنو يعملوه براس السنة، لأنو بواب الفرح والسعادة ضيقة كتير.. وصارت لحظات السعادة نادرة جداً بالنسبة الهون...

المفروض راس السنة فرحة وسعادة للكل.. ولجميع طبقات المجتمع.. والفقير قبل الغني بهالظروف التعيسة...

ويمكن من حق الكل يفرح ويطير عقلو كمان أنو خلص من سنة كانت بالنسبة للأكترية تحت عنوان عريض تحتو خطوط حمرا «عذاب ما عم يخلص»... بس اللي شافو الفرح والبسط بهل اليوم هاد هنن هدوليك الكبار- الأغنياء- تجار الحرب- الفاسدين والحرمية يلي عم يسرقوا لقمتو للفقير...

هدول اللي فرحوا أكتر مالون فرحانيين.. هدول اللي تبعزقوا وصرفوا من مصاري المفقرين اللي عم يسرقوها وهنن عم يعملوا أزمات وعم يخلقوا سوق سودا..

هدول يللي خلو الفرحة بوجهة نظرون عبارة عن إبداع بكب المصاري هون وهون وبلا طعمة.. هنن اللي احتفلوا.. وكأنوا اقتصر حق الفرح والسعادة إلهون وبس.. متل كل مرة وكل مناسبة!

براس السنة... ويمكن بكل راس سنة أو بكل احتفال أو مناسبة أو عيد.. إلخ، عم يحاولوا المسحوقين بالتحديد من السوريين إنو يجربوا الفرح... بس للأسف ما عم ينجحوا! لأنو بكل لحظة في مين عم يفرض عليهم حبة زيادة من القهر، لأنو الجماعة اللي فووق حالفين يمين وعظيم ما تفرح قلوبهم... وما بدها تكسر يمينها وتدفع كفارة!!

طبعاً كتار ما قدروا يشتروا لولادهم تياب ليستبقلوا السنة الجديدة بتياب جديدة متل غيرهم.. وكتار ما قدروا يجيبوا أقل الشي ممكن بهالمناسبة وهو «قالب كاتو مزين» مو حاف وناشف.. لأنو أسعارو كانت بين الـ 15 ألف والـ 85 ألف!!.. دخلكون، هدول موصين ع مواد التصنيع من برا حتى وصل سعروا هيك؟؟.. لأ، وفوتو ع المحلات هي بالتحديد يوم راس السنة بتلاقيها فاضية.. البضاعة كلها منباعة..

أي مين حسنان يشتري كاتو بـ 85 ألف يا عالم غير يلي نازل عم يشفط مصاري وطالع عم يشفط مصاري وهمو بس شوفوني يا ناس كيف عم كب المصاري يلي أنتو بحاجتا لتشبعو اللقمة؟!

طبعاً الغالبية مو قدرتهم يحتفلوا برا البيت، لأنو ببساطة كانت كلفة الاحتفال بين 50 ألف والـ200 ألف ع الشخص ببعض الأماكن «الكلاس» تبع النخبة.. والحجز مسبق.. العمى تخيلوا الكلفة أديش على عيلة أو ع شلة «بلهموطية» فاتورتها بهاليوم!!؟ الحكي عن ملايين يا عالم!!..

واللي طلع من بيتو يادوب تمشى شوي ورجع وكنكن مع ولادو.. وكتار احتفلوا ع التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي وهنن عم يشوفوا ويتحسروا ع حالون إنو ما فيون يعيشوا ولو طقس واحد من طقوس السعادة يلي هي من حق الكل، بس فقرهم واستغلال هدوليك الكبار منعوهم يعيشوا الفرحة متلن متل غيرون.. حتى ولو بجزء صغير وبسيط كتير... يعني من شو بيشكي صحن البوشار البيتي بهالمناسبة؟!.

وعفكرة، كتار ما احتفلوا أصلاً.. وكانت ليلة راس السنة متل غيرها من ليالي القهر!!

لك وهدول نفسهم اللي ما قدروا يشتروا شي بهالمناسبة ولا يحتفلوا فيها.. ما قدروا يشتروا المستلزمات الأساسية لبيتهم وحاجاتهم اليومية المعتادة كمان، لأنو كالعادة الأسعار براس السنة طاااارت لفوق بالعالي.. والسبب أبداً مو مجهول.. لأن فوق كل هاد صار في احتكار ورفع أسعار للمواد الغذائية وانمنعت عنهم كمان، لأنو في مين أبدى منهم ودفيعة.. من هدوليك يلي همون وهدفون الأساسي يتفشخروا قدام يلي متلون من طبقة النخبة والحرمية يا بعدي.. وقدام هالمشحرين اللي متلنا...

يا حسرتي ع حالنا، ما حسنّا نشتري ونحتفل إلا بالخيبة بدايةً من راس السنة.. وبعدنا مكملين باقي أيام السنة متل العادة... وكلون عاملين حالون ماعندون خبر فينا... يا حرام عليهون.. ويا ويلون من الله..

بيوت دمشق القديمة تتداعى والاستثمار مُنقذ

«انهار منزل وجزء من منزل آخر اليوم في منطقة القنوات بدمشق القديمة دون أن يتسبب ذلك بوقوع إصابات».

■ نوار الدمشقي

كان ذلك خبراً وارداً عبر موقع سانا بتاريخ 2019/12/31، أي مع نهاية العام الماضي، كخاتمة مأساوية للعام أصابت قاطني أحد البيوت، ومالكي البيت الآخر، مضمون الخبر أعلاه.

تفاصيل

في التفاصيل بحسب ما أفاد به مصدر في قيادة شرطة دمشق لمندوبة سانا: «المنزلان القديمان في حارة التيامنة في منطقة القنوات مكونان من الخشب والطين، مشيراً إلى انهيار أحدهما وهو مهجور، فيما تهدمت غرفة من المنزل الآخر في الوقت الذي لم يكن قاطنوه داخله واقتصرت الأضرار على الماديات».
وعزا المصدر سبب الانهيار إلى «قدم المنزلين والأحوال الجوية السائدة».

بيوت متهالكة ومخاطر محدقة

الحادثة أعلاه لم تكن الأولى في المنطقة، فقد سبقها الكثير من الحوادث المؤسفة المشابهة خلال السنوات والعقود الماضية، ونأمل أن تكون الأخيرة وألا يصاب أحدٌ بمكروه، لا بالأبدان ولا بالممتلكات.
بالمقابل لا بدَّ من الإشارة إلى أن غالبية أبنية دمشق القديمة، حالها كحال البنائَين المنهارين أعلاه، فهي قديمة ومتهالكة وقد تكون معرضة لنفس المصير، خاصة وأنَّ فصل الشتاء في بدايته، والأمطار لم تفعل فعلها بعد في البيوت الخشبية والطينية، باعتبارها من مكونات النسيج المعماري لغالبية البيوت الدمشقية القديمة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعضها يعتبر أثرياً ومسجلاً رسمياً ضمن قوائم السياحة والآثار، بالإضافة إلى جميع بيوت دمشق القديمة «داخل السور» المسجلة كتراث أثري أيضاً، وهذه وتلك ممنوع القيام بعمليات الترميم اللازمة لها إلا بناءً على موافقة مسبقة ووفقاً لشروط وضوابط معينة، الأمر الذي أدى إلى مزيد من التهالك بهذه البيوت عاماً بعد آخر خلال العقود الماضية، مع العلم أنَّ غالبيتها ما زال مشغولاً من قبل المواطنين كسكن، وبعضها عبارة عن مشاغل، وربما القليل مُفرغ من قاطنيه بسبب تهالكه وعدم التمكن من استخدامه بوضعه الراهن، أي إن المخاطر المحدقة بهذه البيوت، كما بالقاطنين والشاغلين، تتكرر كل عام، وخاصة مع أمطار فصل الشتاء.

دمشق القديمة بلا حماية عملياً

أما المؤسف فهو أنَّ هذه البيوت ونتيجة هذا الشكل من التعامل الرسمي معها، وفي ظل ضيق ذات اليد من قبل مالكيها أو قاطنيها باعتبار أن عمليات الترميم وفقاً للضوابط والقيود الآثارية والتراثية تعتبر مرتفعة جداً، ولا يمكن القيام بعمليات الترميم الضرورية غير المكلفة إلا «بطلوع الروح» بحسب البعض، أصبحت تتهاوى الواحد بعد الآخر، على مرأى ومسمع «السياحة والآثار ومحافظة دمشق ومكتب عنبر»، وغيرها من الجهات التي تعتبر وصائية وصاحبة القول الفصل بما يخص هذه البيوت، دوناً عن إرادة المالكين والقاطنين والشاغلين ومصلحتهم وسلامتهم.
والنتيجة، أن الحماية المفترضة لهذه البيوت تفقد مبرراتها عملياً، ففي كل عام نسمع عن حادثة هنا وكارثة هناك، اعتباراً من الانهيارات وليس انتهاءً بالحرائق، أي إن دمشق القديمة تفقد كل عام المزيد من البيوت، كما يندثر معها المزيد مما يجب حمايته فعلاً من خلال هذا الشكل الافتراضي عديم الجدوى عملياً.

نموذج الحماية الاستثمارية أصبح يفعل فعله كمنقذ لهذه البيوت أكثر من حماية السياحة والآثار والمحافظة وأكثر من كل القيود والضوابط

الاستثمار له اليد الطولى!

أما المفارقة فتتمثل من خلال تغوُّل الاستثمارات في دمشق القديمة وعلى حساب هذه البيوت المسجلة للحماية الأثرية داخل السور وخارجه، والملاحظة الملفتة على هذا الجانب أنَّ عمليات الترميم اللازمة لهذه البيوت المتهالكة تتسارع عندما يوضع أحدها بالاستثمار، بعيداً عن كل ما يحكى عن الحماية والضوابط، فعمليات الترميم تجري بما يتناسب مع المشروع الاستثماري المزمع أولاً وآخراً.. هكذا وبقدرة قادر، وكأن الاشتراطات والقيود السياحية والآثارية المفروضة على المالكين والقاطنين والشاغلين تذوب أمام هذا التغوُّل لأصحاب الاستثمارات السياحية، وخاصة المطاعم والفنادق التي غزت المنطقة!.
وعلى الرغم من كثرة الحديث عن هذا الملف القديم، وبرغم الكثير من المطالبات من قبل أصحاب البيوت وقاطنيها وشاغليها، وبرغم كل التهالك المرئي عليها والحوادث المؤسفة بها، إلا أن خارطة الانهيار والاندثار المتتابع عاماً بعد آخر هي السائدة حتى الآن، اللهم باستثناء نموذج الحماية الاستثمارية الذي أصبح يفعل فعله كمنقذ لهذه البيوت أكثر من حماية السياحة والآثار والمحافظة، وأكثر من كل القيود والضوابط، بل وكأن هذه القيود والضوابط لم توضع ولا يتم التمسك بها إلا كرمى عيون المستثمرين ولمصلحتهم ومصلحة زيادة أرباحهم فقط لا غير!.

الطلّاب والمعاناة المزمنة مع البرد في الصفوف

بدأت معاناة الطلاب في المدارس من البرد، فقد أتى موسم البرد والأمطار مصطحباً معه أشكال اللامبالاة من قبل بعض الإدارات المدرسية التي لا تعير الطالب أي اهتمام على هذا المستوى، في الوقت الذي من المفترض فيه أنّ توزيع مازوت التدفئة للمدارس جرى خلال الأشهر الأخيرة من العام الماضي، على أن يستكمل خلال الأشهر الأولى من العام الحالي، وذلك وفقاً لمعدلات الاستهلاك المفترضة لكل شعبة صفية.

■ سوسن عجيب

قد تكون أشهر الشتاء السابقة حتى الآن غير باردة جداً، إلا أن الأشهر القادمة تحمل معها الكثير من المنخفضات المترافقة مع الانخفاض بدرجات الحرارة كما كل عام.
فهل سنشهد بعض الطلاب وقد التحفوا بالبطانيات التي حملوها من بيوتهم داخل الشعب الصفية كما جرى خلال السنوات السابقة؟.

مشكلة عامة

المشكلة عامة ولا تقتصر على مدارس مدينة دون أخرى أو مدارس منطقة دون سواها، فبعض المدارس بدأت بعملية تشغيل المدافئ في الشعب الصفية، لكن الوقائع حتى الآن تشير إلى أن الكثير غيرها لم تبدأ بتشغيل المدافئ في الصفوف، بل إن بعضها لم يضع تلك المدافئ بالخدمة حتى الآن! الأمر الذي يعني أن التلاميذ والطلاب بدأوا عملياً بالمعاناة من البرد، والتي ستتزايد خلال الأيام والأسابيع القادمة، ومع كل موجة صقيع وكل منخفض قادم، مع كل ما يمكن أن ينتج عن ذلك من أمراض قد تصيب هؤلاء الطلاب، وخاصة الصغار منهم.

ذرائع ممجوجة

قد تتذرع بعض الإدارات المدرسية بعدم تزويدها بمادة المازوت، وبعضها الآخر قد يتذرع بعدم توفر المدافئ، أو العدد الكافي منها، لكن هذه وتلك من الذرائع تعتبر ساقطة الآن، خاصة وأنّ العام الدراسي بدأ بفصله الثاني، وهذه المستلزمات من المفترض أن يتم السعي إلى تأمينها مع بداية العام الدراسي، إن لم نقل مع نهاية العام الدراسي الماضي، أما القرينة الدامغة فهي أن بعض المدارس قامت بالفعل بتشغيل التدفئة في الشعب الصفية.
أما المؤسف، فهو أن بعض الإدارات المدرسية ما زالت حتى الآن تتعامل مع موضوع البرد والشعور به من باب الامتياز والأنانية المفرطة، فالمدافئ توجد وتُشغل في بعض غرف الإدارة في حين تُمنع عن الصفوف، مع ذريعة الإتيان بمازوت التدفئة لهذه المدافئ من بيوت الإداريين، وهي ذريعة ممجوجة وقديمة ومستهلكة، والأهم أنها معيبة وبعيدة عن الإنسانية.

المسؤولية والمتابعة

بعيداً عن إلقاء التهم جزافاً، وقبل أن تقع الفأس بالرأس، لعله من المفروض على مديريات التربية أن تقوم بعملها وواجباتها بهذا الصدد، سواء على مستوى تأمين مستلزمات التدفئة في المدارس «مازوت- مدافئ»، أو على مستوى المراقبة والمتابعة على حسن استخدام هذه المستلزمات ووضعها بالخدمة والاستهلاك الحقيقي داخل الصفوف.
فالحديث من قبل أهالي الطلاب لا يقتصر عن اللامبالاة فقط، بل أحياناً يصب باتجاه الاستخدام الفاسد لهذه المستلزمات من قبل بعض الإدارات لمصلحتهم الخاصة، وفي بيوتهم وليس في المدارس.
برسم مديريات التربية في المحافظاتأشهر الشتاء

سجلت الأشهر الثلاثة الماضية، التي تشكل الربع الرابع من عام 2019، أرقاماً قياسية لسعر صرف الدولار مقابل الليرة في السوق السورية، واستمرت موجة المضاربة وارتفاع الدولار، ورفعت معها مجمل أسعار السلع، لتصبح تكاليف المعيشة الشهرية لأسرة أعلى بنسبة 5% تقريباً عن نهاية شهر أيلول 2019.

380 ألف ليرة

رقم قياسي جديد لتكاليف المعيشة نهاية 2019

وفق مؤشر قاسيون الربعي لتكاليف معيشة أسرة من خمسة أشخاص في دمشق، فإن تكاليف المعيشة قد ارتفعت بما يقارب 25 ألف ليرة خلال الأشهر الثلاثة الماضية لتصل إلى 385 ألف ليرة شهرياً، لسلة استهلاك مكونة من ثماني حاجات أساسية: الغذاء والسكن والنقل والأثاث والألبسة والتعليم والصحة والاتصالات، إضافة إلى نسبة 8% إضافية لحاجات أخرى.

■ قاسيون

147 ألف ليرة للغذاء والمشروبات +7%

كعادتها ارتفعت أسعار الغذاء أكثر من معدلات ارتفاع غيرها من الأسعار، ولكن بنسبة أقل من ارتفاعها في الأشهر الثلاثة السابقة، عندما وصل ارتفاعها إلى 20%، فرغم ارتفاع أسعار السلع المستوردة كالأرز والسكر والزيوت بنسبة تقارب 28–30%، فإن أسعار الخضروات الشتوية أقل، وأسعار الفواكه نسبياً انخفضت، واستقرت أسعار اللحوم عند مستوياتها القياسية التي سجلتها في الفترة بين شهري 6–9 من عام 2019.

94000 ليرة السكن +1%

سوق العقارات الراكدة لم ترتفع مع ارتفاع أسعار الدولار، وتحديداً الآجارات التي حتى الآن لم تنعكس ارتفاعاً عاماً، إلا في بعض الإيجارات المسعّرة أصلاً بالدولار. ولكن ارتفعت تكاليف مستلزمات الصيانة في المنازل بنسبة قاربت 28% لمعدات الصحية والدهان والألمنيوم، ليرتفع تقدير الكلفة الوسطية السنوية لعملية صيانة واحدة إلى حوالي 50 ألف ليرة وحوالي 4160 ليرة شهرياً، وترفع مجمل تقدير كلفة السكن من 93000 سابقاً إلى 94 ألف وبزيادة 1%.

26000 ليرة أثاث منزلي +26%

الكهربائيات ومواد التنظيف التي تشكل المكون الأكبر ضمن أثاث المنزل، ارتفعت أيضاً بمستويات ارتفاع الدولار، وقاربت 25–28%. لترتفع الكلف الشهرية لهذه المكونات إلى 26000 ليرة شهرياً تقريباً، وتحديداً مع تأثير تكاليف المنظفات والمنتجات الكيمائية التي يتم استهلاكها دورياً وشهرياً.

أسعار الألبسة الوسطية أقل تقلباً من غيرها مع محدودية قدرات الاستهلاك، ومع اتساع الخيارات، وتوسع سوق الألبسة المستعملة التي أسعارها أقل ولكنها ترتبط بتقلبات الدولار. ارتفعت أسعار ألبسة الأطفال الصغار خلال الفترة الماضية وهي أكثر الألبسة تقلباً في السعر، كما أن الألبسة والأحذية الشتوية ارتفعت أسعارها الوسطية، وبالعموم فإن كلفة الألبسة ارتفعت إلى حدود 20 ألف ليرة شهرياً بالقياس إلى مستوى 17700 ليرة سابقاً.

نظرياً لم تشهد المكونات الأخرى ارتفاعات مباشرة خلال الأشهر الثلاثة الماضية، فاستقر النقل عند تكلفة 21600 ليرة شهرياً، وكذلك التعليم 18600 ليرة، والصحة عند تكلفة تقديرية شهرية 11 ألف ليرة، وكذلك الاتصالات 11 ألف ليرة.

لتشكل تكلفة مكونات السلة الأساسية الثماني: 349000 ليرة شهرياً، تشكل نسبة 92% من مجموع تكاليف المعيشة بعد إضافة هامش 8% تقديرياً للحاجات الأخرى الطارئة. ما يوصل تكاليف المعيشة الشهرية إلى 380 ألف ليرة شهرياً لأسرة من خمسة أشخاص في دمشق نهاية شهر أيلول 2019.

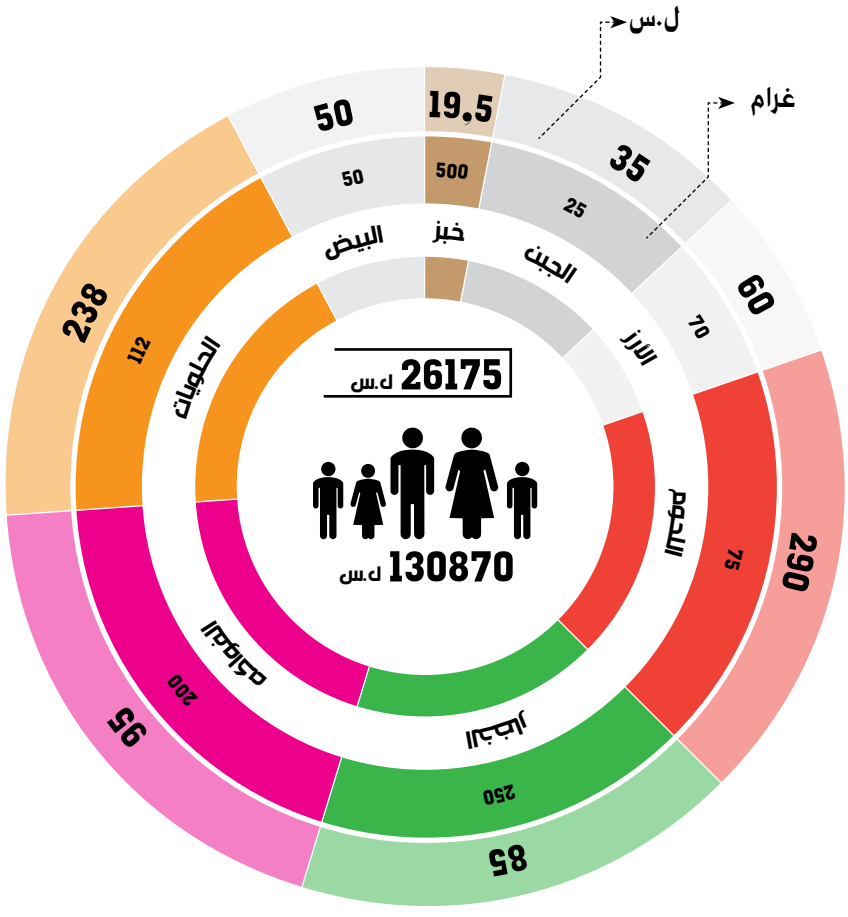

ارتفعت تكاليف المعيشة خلال 2019 بمقدار 70 ألف ليرة ونسبة 70% من هذا الارتفاع جرت خلال النصف الثاني من العام

146720 ليرة مجموع تكاليف الغذاء الضروري والمشروبات لأسرة من 5 أشخاص في دمشق

المادة	الكمية	السعر ل.س
الزيوت	5 ليتر	6850
الشاي	1كغ	5000
القهوة	1كغ	4000

تكاليف سلة الاستهلاك الأساسية لأسرة من 5 أشخاص خلال 2019

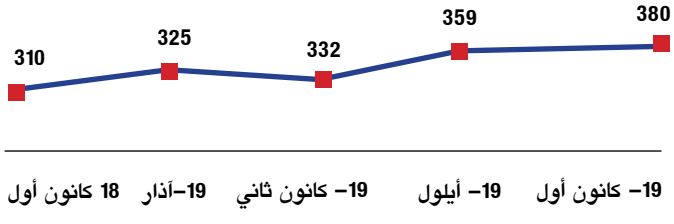

ما الدور الذي تلعبه الليرة اليوم؟

وهل تستطيع الحفاظ عليه؟

تتقلب مستويات الأسعار وعمليات التسعير مع كل صعود وهبوط في سعر الدولار، و10 آلاف ليرة اليوم قد تكفي لكيلو غنم و4 كيلو خضار، بينما غداً قد لا تكفي لشراء هذه البضائع، تتبخر قيمة الليرة مع ارتفاع الأسعار، ويهدد هذا وظيفتها كنقد ويطرح جدياً إزاحتها واستبدالها من التعاملات نحو الدولرة، وهو ما قطعنا أشواطاً به... فما هي وظيفة النقد، وأين الليرة من هذه الوظائف اليوم؟

■ عشتار محمود

للنقد وظائف أساسية: أولها وأهمها أنه مقياس للقيم، ووسيلة للتداول، ويشتق منها أيضاً أنه أداة للاكتناز، ووسيلة للدفع، إضافة إلى دور النقد العالمي. والوظائف الأربع الأولى هي ما تهمنا هنا، وتحديداً الوظيفة الأولى.

مقياس القيم
التسعير بالليرة أم بالدولار؟

النقد هو مقياس القيم، أي إنه أداة التسعير وهي وظيفته الأساسية التي يقوم من خلالها بكل الوظائف الأخرى، فهو المعبّر عن قيمة السلعة التي تقاس بنهاية المطاف بالوقت الضروري لإنجازها. فلكي تنزل سلعة إلى السوق ينبغي أن تسعّر، أي أن يعبّر عن قيمتها بعامل مشترك مع السلع الأخرى حتى يمكن مداولتها بيعاً وشراءً.

من الصعب اليوم في السوق السورية تسعير كل شيء بالليرة، لأنك إن وضعت للبضاعة سعراً وليكن كنزة بـ 10 آلاف ليرة، فإن الليرة بقيمتها غير المستقرة لن تستطيع أن تعبر فعلياً عن كلفة إعادة تجديد إنتاج هذه البضاعة، وقد لا تكون الـ 10 آلاف التي تحصّلها كمُنتج لهذه البضاعة قادرة على إعادة إنتاج الكنزة ذاتها وتحقيق الربح منها، فمكوناتها البضاعية سترتفع أسعارها: قد ترتفع تكاليف الطاقة، أو أسعار المكنة واهتلاكها، أو المادة الأولية من خيط مستورد أو صباغ أو غيرها... لذلك يميل المنتج «ليريح رأسه وجيوبه» ويقول: «كلفتها 8 دولارات وربحي دولاران» ويغير سعر الكنزة بالليرة حسب تغير سعر الليرة مقابل الدولار.

فجزء كبير من كلفه لا تتحدد بالليرة بل بالدولار: أسعار الطاقة وأسعار المكنة وأسعار المادة الأولية بمجملها مستوردة. وكلّما زاد وزن الاستيراد كلما تحول الدولار إلى المقياس الفعلي لقيم البضائع.

ولذلك نرى أن البضائع المستوردة مباشرة كالغذائيات من أرز وسكر وزيوت نباتية وغيرها تتغير أسعارها بالليرة وفقاً لسعر الدولار، ما يعني أنها عملياً مدولرة. وكذلك الكثير من المواد المنتجة محلياً، فتربية الدواجن ترتبط بالأعلاف المستوردة بنسبة تفوق 40% لذلك فإن الفروج والبيض مدولر بهذه النسبة تقريباً، والصناعات تختلف حسب وزن الاستيراد في تكاليفها، فالكهربائيات المجمعة محلياً على سبيل المثال مدولرة السعر، لأن كل مكوناتها مستوردة، أما صناعة الألبسة والمنسوجات فهي أيضاً تعتمد على تكاليف دولارية ومستوردة، ولكنها صناعة كثيفة العمالة، ولذلك فإنها أقل تقلباً وتعتمد على العامل السوري رخيص الأجر وبالليرة السورية، وبجزء كبير على صناعة الأقمشة محلياً، لذك فإن أسعار الألبسة المحلية أقل تقلباً من غيرها، وكذلك المنتجات الغذائية ذات المكونات المحلية وغيرها.

التداول والاكتناز والدفع
الوظائف الأخرى

إذا ما كان الدولار هو مقياس لجزء كبير من القيم المتداولة محلّياً، فإن هذا بذاته يجعل دور الليرة في التداول «البيع والشراء» أضعف، وهو ما يجري في القطاعات المدولرة بالكامل وتحديداً على مستوى مبيعات الجملة، فالإلكترونيات مثلاً تسعّر يومياً وفق تبدلات الدولار، ويتم التداول بالدولار في الكثير من الحالات بين كبار المستوردين والموزّعين. أما التداول بالليرة فيبدو أن القانون يحميه، ولكن عملياً ما يحميه هو الكتلة الكبرى من المستهلكين أصحاب الأجور الذين يحصلون على دخولهم بالليرة ويستهلكون البضائع النهائية.

وأخيراً، وظيفتا النقد الأخيرتان: الاكتناز والدفع، وهي وظائف مرتبطة بقطاع الأعمال، فالاكتناز أو الادخار يتطلب وجود فوائض مالية، والدفع الآجل وظيفة أصبحت ترتبط بالإقراض والائتمان والاستثمار ومجمل أشكال الدفع الآجل والاسترداد التي يلبيها النقد.

وفي الحالة الأولى، أي الاكتناز فإن أحداً لن يدخّر فوائضه بالليرة مع التراجع في قيمتها، بل يتحول الدولار إلى وسيلة ادخار أساسية حتى لدى ما تبقى من شرائح متوسطة الدخل. والليرة أيضاً لم تعد وسيلة إقراض وائتمان، لأن أحداً لن يقرض بالليرة وبسعر فائدة 10–15% طالما أنَّ التضخم السنوي لا يزال يقارب 25% أي إنه سيخسر قيمة أمواله، وإن أقرض 100 فإنه سيستردها 110 ليرة ولكن قيمتها الفعلية ستكون 82 ليرة نهاية العام!

إن وظائف الليرة الفعلية مهدّدة، والعامل الأول الذي يهددها وزن الدولار نتيجة وزن الاستيراد في العمليات الاستهلاكية والإنتاجية. والذي يشكل نسبة تتعدى 30% من الناتج المحلي المقدّر في 2018، والمفارقة، أن هذه النسبة هامة وهي تفسر مسار تراجع قيمة الليرة واعتماد التسعير على الدولار، ولكنها ليست كبيرة للحد الذي يفسّر التدهور السريع في قيمة الليرة وعدم استقرارها كما في الأشهر الخمسة الأخيرة... ما يجعل العامل الحاسم في مراحل التدهور السريع: هو اعتماد شريحة النخب المالية على طلب الدولار لاكتنازه وتهريبه إلى الخارج الأمر الذي يزيد الطلب على الدولار. ويبدو أن الطلب على الدولار للاكتناز والتهريب هو نسبة مؤثرة ويضيف إلى تأثير نسبة الـ 30% للاستيراد ليرفع الدولار ويخفّض الليرة.

إن وظائف الليرة الفعلية مهدّدة والعامل الأول الذي يهددها وزن الدولار في الاستيراد الذي يشكل 30% من الناتج والنسبة ترتفع مع طلب كبار قوى المال على الدولار لتهريبه للخارج

إن الدفاع عن الليرة يتطلب إبقاء وظائفها الأساسية، كمقياس لأكبر قدر من القيم المنتجة والمتداولة محلياً، وكأداة دفع واستثمار، وحينها تبقى أداة تداول أساسية حتى دون حماية القانون، ولهذا ثلاثة محاور مرتبطة ببعضها البعض:

أن يتم تقليص نسبة الاستيراد 30% كوزن من إنتاج البضائع المحلية، بأن يتم توطين الكثير من التكاليف، وهذا يتطلب بدائل صناعية وزراعية فعلية للمستوردات الكبرى وتثبيت أسعار الطاقة عند كلف منخفضة وعدم تقلّبها مع تقلب الأسعار العالمية والدولار.

أن تتم زيادة نسبة الليرة من الناتج المحلي عن 70%، وذلك بتوسيع الاستثمار بالليرة، الأمر الذي يتطلب جهة مقرضة أو مستثمرة مستعدة لتحمل هامش خسائر محتمل مقابل توسيع المرابح الاقتصادية والاجتماعية الأوسع المضمونة لاحقاً، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بالمال العام، عبر استخدامه في الاستثمار الإنتاجي.

أن تتغير العلاقة بين الليرة والدولار، وهذا يعتمد على زيادة الطلب على الليرة عبر الاستثمار والإنتاج المحلي بها، وتقليص الطلب على الدولار عبر تقليص الاستيراد وتهريب الأموال... كما أنه يرتبط بتنويع عملات التداول الخارجي وإزاحة الدولار نهائياً، عبر استيراد الضروريات بالعملة الصينية أو الروسية أو عملات الدول القابلة لتجاوز العقوبات باتفاقيات وعقود رسمية لآجال متوسطة.

من يملك الدَّين الأمريكي؟

وصل الدَّين الأمريكي في شهر 12-2019 إلى مستوى 23 تريليون دولار، تركز معظم التصريحات على حصة الأطراف الأجنبية من الدَّين الأمريكي ولكن الدَّين الأمريكي بمعظمه مملوك من جهات وأطراف أمريكية...

تقسيم الدَّين الأمريكي من حيث مالكي الدَّين معقد وله عدة تقسيمات، الخزانة الأمريكية تقسمه تقسيماً أولياً عاماً بين الدَّين داخل الحكومة «26%» والدَّين المملوك من العامة «74%» سواء في خارج أمريكا أو داخلها.

ما يعني، أن الجهات الحكومية الأمريكية تمتلك ربع الدَّين الأمريكي الحكومي، أي الجهات الحكومية تدين نفسها... ولكن المشكلة في هذا الدَّين أنه بجزء كبير منه مضمون بأموال المتقاعدين وصناديق الضمان الاجتماعي الحكومية الأمريكية، حيث يُقدّر البعض أن أموال التقاعد والضمان «العامة والخاصة» تغطّي نسبة تقارب نصف الدَّين الحكومي، أي يتم استثمار هذه الأموال في الدَّين الأمريكي وتحصل على فوائد تقارب اليوم 1,5% تقريباً. وهي في خطر في حال الفشل في سداد الديون أو في حال تراجع إيرادات الفوائد.

بينما في تصنيف آخر فإن الدَّين الأمريكي يُقسم إلى أربعة أقسام أساسية من حيث مالكي الدَّين في منتصف 2018: أكبرهم لمجموع المستثمرين الأمريكيين الخاصين «32,5%»، ثم المستثمرين الأجانب «29%»، فالحكومة الأمريكية «27%» ومن ثم الفيدرالي الأمريكي «11,2%».

وفق أرقام عام 2019 فإن حصة الأجانب قد تكون ارتفعت إلى 36%، وحصة الفيدرالي قد تكون ارتفعت إلى 13% وهي مرشحة للارتفاع أكثر.

بالنسبة للحائزين الأجانب فإن الديون التي تملكها اليابان والصين تشكل ثلث هذه الديون، وخلال العام الماضي بين شهري 10 من عامي 2018–2019 تراجعت الصين عن موقع أكبر حائز أجنبي لسندات الدَّين الأمريكية، وأصبحت اليابان هي الحائز الأكبر: 1,16 تريليون دولار لليابان، مقابل 1,1 تريليون للصين.

أما بالنسبة لحصة الفيدرالي، تشير تقديرات دتش بنك بأن الفيدرالي الأمريكي الذي عاد إلى توسيع إصدار الدَّين، سيقوم بإعادة شراء الكثير من سندات الخزينة الأمريكية مع انخفاض أسعار الفائدة وسيتحول إلى حائز ما يقارب 40% من سندات الديون. ما يعني أن الفيدرالي سيكون من المتضررين من تراجع أسعار الفائدة الأمريكية الذي يسعى إليه ترامب.

الصراع في الولايات المتحدة الذي تظهر إحدى تجلياته بين ترامب والفيدرالي الأمريكي، على أسعار الفائدة يتجلى هنا، فترامب الذي لا يريد فشل الدَّين واستمرار تدفق الديون في شريان الاقتصاد الأمريكي على الأقل حتى انتخابه لولاية ثانية نهاية العام الحالي، ويسعى إلى الضغط نحو خفض أسعار الفائدة بمستويات أسرع مما يفعله الفيدرالي.

بينما الفيدرالي بما يمثله أصبح متضرراً من انخفاض أسعار الفائدة، وهو الذي كان قد بدأ برفعها منذ عام 2015، ثم عاد إلى تخفيضها تحت ضغط التباينات الأمريكية واحتمالات فشل الديون واندلاع الأزمة المالية في حال ارتفاع أسعار الفائدة.

تخفيض الفائدة سيعني أن الأطراف الأجنبية والمحلية التي تمتلك سندات الدَّين الأمريكي، ستحصل على عوائد أقل من امتلاكها للدين، فعوضاً من فائدة وصلت إلى مستوى أعلى من 2% على الدَّين، أصبحت الفائدة 1,5% تقريباً ومن المحتمل انخفاضها.

ولكن انخفاض الفوائد يعني أيضاً أن تكاليف الدَّين على الحكومة الأمريكية ستنخفض، حيث الحكومة الأمريكية هي أكبر مقترض لهذه الديون، وتكاليف سداد أقساط الدَّين الحكومي هي البند الثاني في تكاليف الموازنة الأمريكية بعد بند الإنفاق العسكري.

الأهم من كل هذا، أن مستوى هذا الدَّين يشير إلى أنه غير قابل للسداد، ولكنه غير قابل للفشل أيضاً، وهو معضلة ينبغي على النموذج المالي الأمريكي الذي طبع العالم خلال نصف قرن من الزمن أن يتعامل معها.

إن مستوى الدَّين يشير إلى أنه غير قابل للسداد ولكنه غير قابل للفشل أيضاً

توزع الدين الأمريكي حسب مالكي الدين- 23 تريليون دولار

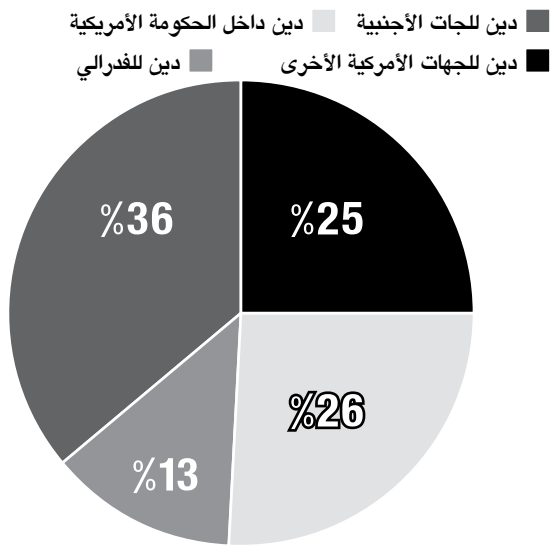

حمائية ترامب أضرت الصناعة الأمريكية؟!

لا يمكن للعودة إلى الحمائية التجارية أن تَسعف الصناعة الأمريكية، هذا ما يتبين من نتائج تطبيق التعرفة الجمركية على الصناعات الأمريكية التي كانت تستهدف دعم الصناعة! وفق دراسة أجراها الفيدرالي الأمريكي.

يحمّل الفيدرالي الحمائية التجارية، والحرب التجارية التي يعلنها ترامب مشاكل الاقتصاد الأمريكي. حيث تعتبر الدراسة أن التعرفة الجمركية المطبقة في عام 2018 كان لها تأثير على تراجع التشغيل الصناعي وارتفاع أسعار المنتجات الاستهلاكية المصنّعة في الولايات المتحدة.

أكثر الصناعات تأثراً كانت صناعات الألمنيوم للألواح والرقاقات بأشكالها المختلفة، والتي يبدو أنها تعتمد على الاستيراد الذي ارتفعت عليه التكلفة، وأصبحت التعرفة الجمركية تشكل نسبة 17,6% من تكاليفها. تليها صناعة الحديد بنسبة 8,4% من التكاليف، وكانت الصناعات العشر الأكثر تضرراً هي المرتبطة باستيراد الألمنيوم والحديد، وهي واحدة من المجالات التي طبّقت عليها التعرفة الجمركية، بالإضافة إلى صانعي السيارات والأجهزة المنزلية ومكونات الكمبيوتر، وكذلك منتجي الجلود والبضائع والمبيدات الحشرية وأجهزة الصوت والفيديو.

فرضت إدارة ترامب مليارات الدولارات من الرسوم الجمركية على العديد من الشركاء التجاريين الرئيسيين لأميركا، مستهدفة الألمنيوم والصلب من جميع أنحاء العالم، والسلع الصناعية الأوروبية، وجميع السلع القادمة تقريباً من الصين بسبب ما وصفه الرئيس بهذه البلدان «الممارسات التجارية غير العادلة» ضد الولايات المتحدة مستهدفاً إحياء الصناعة الأمريكية مجدداً... الأمر الذي يبدو أنه أعقد من إجراءات حمايتها جمركياً وسط الترابط الاقتصادي العالمي.

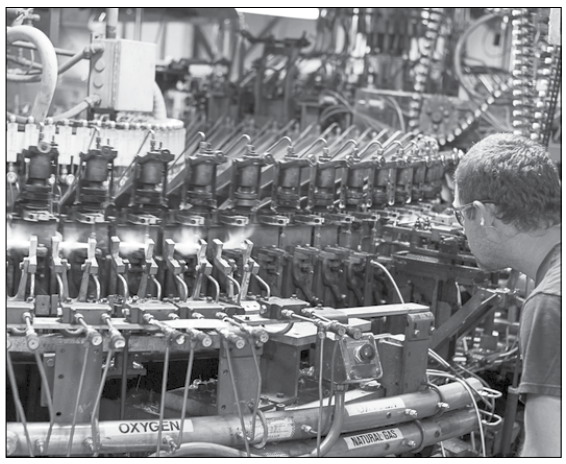

قطينة.. ملف كارثي وبرود رسمي

بعد أن قررت عقد جلستها في مدينتهم نهاية العام الماضي، انتظر أهالي حمص عامة، وقطينة خاصة، من الحكومة بعض الاهتمام والإنصاف بما يتعلق بملف التلوث الذي تعاني منه المحافظة منذ عقود، لكن النتائج لم تكن على المستوى المطلوب، بل لم تحقق الحد الأدنى منه.

■ عاصي اسماعيل

فما زال التعامل الرسمي مع ملف التلوث البيئي وانعكاساته السلبية على الطبيعة والإنسان بعيداً عن الاهتمام الجدّي، بل يطغى عليه الاستهتار واللامبالاة، ولعل معمل السماد في قطينة مثال فاقع على ذلك.

معاناة كارثية مزمنة

تعاني بلدة قطينة، ومحيطها وساكنوها وبيئتها، منذ سبعينات القرن الماضي من مخلفات وسموم معمل السماد فيها، كما تعاني المحافظة بشكل عام من مشكلة تلوث بيئي عميقة ومزمنة بنتيجة جملة من العوامل، منها كثرة مصادر التلوث فيها «معامل الأسمدة- مصفاة حمص-...»، وعلى الرغم من شكاواهم المستمرة، وبرغم تسليط الأضواء على هذه المعاناة ونتائجها الكارثية المتفاقمة والمتراكمة منذ عقود، إلا أن الرسميين كانوا وما زالوا يتعاملون معها بالكثير من الاستهتار والبرود، برغم وضوح الكارثة، ومعرفة الحكومة بتفاصيلها ونتائجها وتداعياتها على الطبيعة والصحة والزراعة والمياه، وغيرها من الجوانب الحياتية والاقتصادية الكثيرة الأخرى.

أهالي البلدة والمنطقة سبق أن وعدوا بنقل المعمل من منطقتهم دون تنفيذ لهذا الوعد، وكانوا قد استبشروا خيراً بأن يتم التخفيف من التلوث والغازات السامة التي ينفثها المعمل على إثر استثماره من قبل شركة خاصة روسية، وقبل المباشرة بالعمل والإنتاج فيه، وذلك بحسب التصريحات التي سبقت ذلك، لكن ذلك لم يتم، واستبشروا نوعاً ما مؤخراً بالاجتماع الحكومي في مدينتهم عسى يتم تحقيق بعض التقدم بهذا الملف، لكن دون جدوى أيضاً!.

تحرك أهلي ودور إعلامي بلا طائل!

تجدر الإشارة إلى أن أهالي قطينة تقدموا بالعديد من الشكاوى، عن معمل الأسمدة وآثاره ونتائجه الصحية والبيئية، إلى الجهات الرسمية طيلة العقود الماضية، كما نظموا العديد من الاعتصامات والتظاهرات والتجمعات من أجل تسليط الضوء على كارثتهم، والضغط من أجل إيجاد الحلول لمشكلة التلوث البيئي الخطيرة على المنطقة وأهلها، وقد استقطبت المشكلة والمعاناة والتحركات الأهلية الكثير من الاهتمام والتغطية الإعلامية، لكن كل ذلك لم يجد نفعاً.

نشير بهذا الصدد إلى أن «قاسيون» نَشرت على صفحاتها العديد من المواد عن ملف التلوث بشكل عام، وعن معمل الأسمدة في قطينة بشكل خاص، خلال السنوات الماضية، ومن مادة بعنوان: «قطّينة تقرع ناقوس الخطر مجدداً» بتاريخ 2018/3/17، نقتطع التالي: «مشكلة السموم والتلوث البيئي الناتج عن معمل الأسمدة بالقرب من قطّينة ليست جديدة، بل تجاوز عمرها الزمنيَ 40 عاماً، ومع ذلك وبالرغم من تسليط الضوء على هذه المشكلة طيلة هذه العقود، وبرغم كل الدراسات التي قُدمت حيال نتائج التلوث على الصحة والبيئة، وبرغم كل الوعود الرسمية المكررة عن معالجة المشكلة، إلا أن الواقع يشير إلى أن المشكلة تزداد سوءاً، وتزداد معها اللامبالاة الرسمية بالحياة والبيئة».

الجدوى الاقتصادية التي يتم الحديث عنها لم ولن تكون إلا على حساب الطبيعة والانسان والبيئة بظل الاستمرار بهذا الشكل من التعامل مع هذه الكارثة

تفاصيل رسمية جديدة عن الكارثة

جرى عقد اجتماع ضم رئيس الحكومة مع مجلس المدينة والمسؤولين فيها بتاريخ 2019/12/29، وقد كشف محافظ حمص خلال الاجتماع: «أنه وخلال زيارته إلى بلدة قطينة المتاخمة لمعامل الشركة العامة للأسمدة تبين أن المدارس عطلت بسبب اختناقات أصابت الأطفال نتيجة الانبعاثات الغازية، مشيراً إلى أنه تم إعطاء إدارات المدارس حينها في البلدة الصلاحية بتعطيلها عند وجود أية حالة خطر حتى لا يتم تحميلهم المسؤولية».. وأضاف: «أنه وبحسب ما استمع خلال زيارته لعدد من أهالي البلدة وأحد الأطباء فيها أنه يوجد نوعان من المنصرفات الغازية لمعامل الشركة، أحدهما يحدث تخديشاً في المجرى التنفسي، وهذا ما تم الإحساس فيه حينها، ونوع ثانٍ من الانبعاثات الغازية وهو سام وليس له رائحة، مؤكداً أن هذه الظاهرة لا يمكن تجاهلها ولا التهاون بها، مشدداً على ضرورة إيجاد حلول لها نظراً لتأثير هذه الانبعاثات على البشر والمواطنين»، وذلك بحسب صحيفة الوطن بتاريخ 2019/12/30.

حديث المحافظ أعلاه، وبرغم كل ما يمكن أن يقال حيال «الخطر» و«المسؤولية» وصلاحية «تعطيل المدارس»، هو إضافة جديدة على كل ما تم طرحه خلال عقود عن الكارثة الموثقة، لكن ما هي النتيجة بعد هذا الشرح مع نتائجه الكارثية الملموسة من قبله، والمعروضة أمام الحكومة مؤخراً؟.

السماح بسنتين إضافيتين من التلوث

المفاجأة بالنسبة للأهالي أنَّ الحكومة أقرت السماح باستمرار التلوث البيئي مع نتائجه الكارثية لمدة عامين إضافيين.. هكذا، هذا إن تم التقيد بهذه المدة وتمت معالجة هذه الكارثة جدياً، بالوقت الذي يعاني منه هؤلاء من خطر محدق على حياتهم وحياة أبنائهم، بالإضافة إلى كل الأخطار المحدقة على البيئة بشكل عام.

فبحسب سانا بتاريخ 2019/12/29، «حول تحديد الخطوات والبرامج اللازمة لمعالجة مشكلة التلوث البيئي في حمص»، بنتيجة اجتماع رئيس الحكومة مع مجلس المدينة والمسؤولين فيها، ورد التالي:

أوضح رئيس الحكومة: «أن الوزارات المعنية وصّفت خلال الفترة الأخيرة واقع الأضرار البيئية التي تسببها كل من المصفاة والمعمل، وتم وضع الخطط اللازمة لمعالجة الآثار البيئية الضارة الناتجة عنهما دون المساس بالجدوى الاقتصادية التي تحققها هذه المنشآت على المدى البعيد».

وفيما يخص معمل الأسمدة: «تمت الموافقة على خطة وزارة الصناعة لإعادة تأهيله وتطويره وإيصاله إلى الطاقة التصميمية القصوى واستبدال الأجزاء المتضررة من خطوط الإنتاج خلال مدة سنتين مع مراعاة شروط السلامة البيئية، لتكون نسبة الانبعاثات الضارة من المعمل عند اكتمال خطة المعالجة معدومة».

الواضح أن الجدوى الاقتصادية «بعيدة المدى» التي يتم الحديث عنها بهذا السياق، لم ولن تكون إلّا على حساب الطبيعة والإنسان والبيئة في ظل الاستمرار بهذا الشكل من التعامل مع هذه الكارثة!.

والنتيجة رسمياً، سنتان إضافيتان، بالحد الأدنى، من التلوث المستمر!.

فهل من برود رسمي، بالتعامل مع ملف كارثي بهذا الحجم، أكثر من ذلك؟.

ثلاثة كتب بيئية جديدة

من ثلاث وجهات نظر رأسمالية بحتة/ وماركسية بحتة، ووجهة نظر تبدو للوهلة الأولى اشتراكية، لكنها محاولة عمل مهمة مستحيلة، أية رأسمالية صديقة للبيئة، تنطلق الكتب الثلاثة التي نعرضها في نوع من عرض للأفكار المتداولة في حوض الثقافة البيئية وعلاقتها بمرحلة نهاية الرأسمالية اليوم.

«الجحيم الفضفاض»

في كتابه المعنون «الجحيم الفضفاض» **All Hell Breaking Loose**. يقدم الكاتب مايكل تي كلير وجهة نظر البنتاغون حول تغيّر المناخ من دار نشر متروبوليتان.

قد يبدو من غير المرجح أن يكون البنتاغون، غير المتعاطف بشأن القضايا البيئية، قلقًا بشأن تغيّر المناخ– هذا الموضوع الذي لا يزال مرتبطًا، بالنسبة للكثير من الناس، بالدببة القطبية والشعاب المرجانية. ومع ذلك، من بين جميع المؤسسات الرئيسة في المجتمع الأمريكي، لا شيء يأخذ تغيّر المناخ على محمل الجد مثل الجيش الأمريكي. كمشارك في النزاعات الناجمة عن تغيّر المناخ خارج الولايات المتحدة، وكأول المستجيبين للأعاصير والكوارث الأخرى على الأراضي الأمريكية، إذ يواجه بالفعل آثار الاحتباس الحراري. ينظر الجيش الأمريكي الآن إلى تغيّر المناخ باعتباره أحد أهم التهديدات للأمن القومي الأمريكي– وينشغل في وضع استراتيجيات للتعامل معه.

بالاعتماد على التقارير والوثائق الحكومية الأمريكية الغامضة سابقاً، يُظهر خبير الأمن الشهير مايكل كلير، أن الجيش الأمريكي يرى أن تهديد المناخ يُعرض البلاد للخطر على عدة جبهات في وقت واحد. يُؤدي الجفاف ونقص الغذاء إلى تأجيج النزاعات في الدول الطرفية، حيث ينتج «لاجئو المناخ» «حسب قوله» الفوضى في جميع أنحاء العالم. ستتطلب الأوبئة والكوارث الإنسانية الأخرى بشكل متزايد مشاركة عسكرية واسعة النطاق. يذوب القطب الشمالي مما يخلق طرقاً بحرية جديدة «للدفاع» عنها. وارتفاع البحار يهدد المدن الأمريكية والقواعد العسكرية نفسها.

بينما لا يزال آخرون يناقشون أسباب الاحتباس الحراري، يركز البنتاغون بشدة على آثاره. في إجابة توضح أنه من حيث الأهمية، فإن التأثير الهائل لتغيّر المناخ ليس موضع شك، لكنه موضع إنكار إعلامي.

«كيف يعمل العالم؟»

أما في كتاب «كيف يعمل العالم: قصة العمل البشري من عصور ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث»

How the World Works: The Story of Human Labor from Prehistory to the Modern Day

لكاتبه بول كوكشوت، من الواضح أن القليل من المؤلفين قادرون على الكتابة بشكل مقنع في المجالين العلمي والاقتصادي. بل إن عدداً أقل منهم يمتلك النطاق الفكري اللازم لمعالجة العلوم والاقتصاد على المستوى الكلي، وكذلك على المستوى الجزئي. لكن بول كوكشوت، باستخدام العدسات المزدوجة للاقتصاد الماركسي والتقدم التكنولوجي، استطاع أن ينطلق من المنظور النقدي الحاد بشكل مذهل للتاريخ الإنساني، من مجتمعات ما قبل الزراعة إلى الوقت الحاضر. في كتاب «كيف يعمل العالم»، يربط كوكشوت السلاسل العلمية والاقتصادية والاجتماعية لإنتاج عمل شامل ومفصل للتحليل التاريخي. هذا الكتاب سيشغل علماء التاريخ والعلوم والاقتصاد لسنوات قادمة.

يتقدم بول كوكشوت، أحد أبرز العلماء الماركسيين المعاصرين، نحو بناء نموذج جديد للاشتراكية في القرن الحادي والعشرين، والذي يسميه «الشيوعية الرقمية في القرن الحادي والعشرين». أحد إسهاماته البارزة في تجديد وتطور نموذج ماركس وإنجلز العلمي، ما يمنحه مكانة خاصة بين الكتاب المفكرين الثوريين المعاصرين.

يقول هاينز ديتيريتش، مركز العلوم الانتقالية، جامعة متروبوليتانا المستقلة عن هذا الكتاب:

هذه هي المادية التاريخية مع التركيز التكنولوجي القوي. حساب غني بالمعلومات عن أنماط الإنتاج الرأسمالية وغير الرأسمالية– مصطلح كوكشوت يؤخذ على محمل الجد، حرفياً تقريباً. قد تتعارض مع بعض وجهات نظره، لكنك ستتعلم الكثير من هذا الكتاب.

أما أوليفر ريسلر، الفنان ومخرج الأفلام فيقول:

يُعد كتاب كوكشوت مساهمة مهمة في المادية التاريخية، مكملاً لتحليلات ماركس وإنجلز الكلاسيكية للعمالة والثروة بحساب منهجي لكيفية تشكيل الاقتصادات والمجتمعات بواسطة مصادر وتكنولوجيات الطاقة. من خلال التركيز القوي على التحولات من المجتمعات الأولى إلى الرأسمالية المعاصرة، فإن تقييم كوكشوت المتعاطف «مع الاشتراكية القائمة بالفعل» والاستكشاف الرصين لمستقبل الشيوعية الممكنة يوفر اتجاهات جديدة واعدة للسياسات التقدمية.

إن وجهة نظر الكاتب الحريص على البيئة تحدد في نهاية المطاف موقعه بغض النظر عما يُظهره من حرص وتعاطف مع الطبيعة

«كوكب للفوز»

الكاتبة كيت أرونوف وزملاؤها، يقدمون لنا كتابهم المعنون «كوكب للفوز» لماذا نحتاج إلى صفقة خضراء جديدة؟

A Planet to Win–Why We Need a Green New Deal الذي قدمت له الكاتبة المعروفة نعومي كلاين.

وتحت عنوان «في القرن الحادي والعشرين، كل السياسات هي سياسات المناخ» تتحدث: «لقد انتهى عصر التدرج المناخي، حيث تفاقمت الكوارث غير المسبوقة بسبب عدم المساواة بين العروق والطبقات. نحتاج إلى تغيير جذري عميق. صفقة خضراء جديدة يمكن أن تتصدى لحالات الطوارئ المناخية وعدم المساواة المتفشية في نفس الوقت. إن خفض انبعاثات الكربون وتحقيق مكاسب فورية للكثيرين هو الطريقة الوحيدة لبناء حركة قوية بما يكفي لهزيمة النفط الكبير والشركات الكبيرة والأثرياء للغاية بدءاً من الآن.»

يستكشف «كوكب للفوز» الإمكانات السياسية والخطوات الأولى الملموسة للصفقة الخضراء الجديدة. إنه يدعو إلى تفكيك صناعة الوقود الأحفوري، وبناء مناظر طبيعية جميلة من الطاقة المتجددة، وضمان العمل الصديق للمناخ، والإسكان الخالي من الكربون، والنقل العام المجاني. ويوضح كيف يمكن لصفقة خضراء جديدة في الولايات المتحدة أن تقوي حركات العدالة المناخية في جميع أنحاء العالم.

ويقول: نحن لا نصنع السياسة في ظل ظروف من اختيارنا، ولن يختار أحد هذه الأزمة. لكن الأزمات توفر أيضاً فرصاً. إننا نقف على شفا الكارثة– ولكن أيضاً على أعتاب التغيير الهائل.

ليبيا... المخارج والطرق الوعرة

يشهد ملف شرق المتوسط وليبيا تطورات دائمة، فهو موضوعٌ حاضرٌ على طاولة السياسيين على مستوى الإقليم والعالم، وازدادت الصورة تعقيداً بعد حصول الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على تفويضٍ من البرلمان يسمح للرئيس بتقديم كل أشكال الدعم لحكومة الوفاق برئاسة فايز السراج، بما فيها إرسال جنود أتراك إلى ليبيا، فما هي الاحتمالات المطروحة الآن وهل هناك ملامح حلٍ لهذه الأزمة؟

■ علاء أبو فرّاج

أقرّ البرلمان التركي بأغلبية الأصوات «325 مقابل 184» مذكرة تسمح بإرسال قوات عسكرية تركية إلى ليبيا، وذلك في جلسة استثنائية في 2 كانون الثاني، وتسمح هذه المذكرة للرئيس التركي باتخاذ الإجراءات العسكرية التي يرى ضرورة لها في ليبيا لمدة عام قابلة للتجديد. إلا أن هذه المذكرة لا تلزمه باتخاذ إجراءات عسكرية، وهو ما عبر عنه فؤاد أوقطاي، نائب الرئيس التركي بشكل صريح، إذ اعتبر أوقطاي أن تركيا تأمل أن تلعب هذه المذكرة دوراً رادعاً إلى أطراف النزاع في ليبيا، وأشار نائب الرئيس في حديث لوكالة الأنضول التركية أن بلاده قد لا ترسل جنوداً إلى ليبيا إذا ما أوقفت قوات حفتر الهجوم الذي تشنه على طرابلس وانسحبت من النقاط التي سيطرت عليها. ومن جهة أخرى أعلن كمال كيليتشدار أوغلو وهو زعيم حزب الشعب الجمهوري، الذي يعد من أبرز أحزاب المعارضة التركية، أعلن أن خيار الحرب وإرسال الجنود الأتراك يجب أن يكون الخيار الأخير لا الأول، معرباً عن ضرورة إيجاد حل سياسي للأزمة الليبية عن طريق المؤسسات الإقليمية أو الدولية، وترى المعارضة التركية أن التدخل التركي من شأنه توريط البلاد في أزمة خارجية جديدة.

ما يجري في الواقع يؤكد أن هناك أطرافاً تحاول جرّ تركيا إلى هذا النزاع مما سيكون له نتائج كارثية في الداخل التركي وبالتالي على المنطقة ككل

أمريكا وخط «إيست ميد»

يبدو ظاهرياً أن الموقف الدولي مما يجري في ليبيا هو موقف واحد، وهذا صحيح ظاهرياً، فيكاد يكون هناك إجماع على رفض الخطوات التركية والتأكيد على حل الأزمة الليبية بشكل سلمي، إلا أن ما يجري في الواقع يؤكد أن هناك أطرافاً تحاول جرّ تركيا إلى هذا النزاع، مما سيكون له نتائج كارثية في الداخل التركي، وبالتالي على المنطقة ككل، فإن أي انفجار في بلد بحجم تركيا سيكون له ارتدادات كبيرة جداً.

من هذا الباب يمكن قراءة زيارة رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو إلى أثينا في 2 كانون الثاني، حيث جرى التوقيع على اتفاقية بين الأطراف الثلاثة «اليونان وقبرص والكيان الصهيوني» تقضي بمد أنبوب لنقل غاز المتوسط إلى أوروبا باسم « إيست ميد»، وتحمل هذه الخطوة إشارة سياسية، فهي قبل كل شيء خطوة مدعومة أمريكياً، وتعتبر استكمالاً للاتفاق المبدئي الذي جرى في تل أبيب في آذار الماضي، والذي حضره وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، ويهدف هذا المشروع بشكل معلن إلى الضغط على روسيا عبر إيجاد مصادر أخرى لاحتياجات أوروبا من الغاز، وتشكل خطوة كهذه استفزازاً لتركياً فهي ترسيخ لتجاهلها وتجاهل مصالحها في المتوسط. ولكن إمكانية إنجاز هذا المشروع حالياً هي إمكانية ضئيلة، فهي تحتاج على الأقل إلى مناخ سياسي أكثر استقراراً، وهو ما لا يتوفر في شرق المتوسط حالياً، بالإضافة إلى أنه يحتاج إلى توازنات دولية تسمح فعلاً بقيام مشروع كهذا، عدا عن أن هذا المشروع يواجه مصاعب فنية ولا يمكن أن يضخ أكثر من 10% من احتياجات أوروبا ولفترة محدودة.

ليبيا باتت نقطة قادرة على توليد المشاكل في مساحة جغرافية تفوق حجمها بعدة أضعاف، وهذا ما يناقض مصالح كل دول المتوسط

الموقف الروسي

يتضح الموقف الروسي أكثر فأكثر، ويبدو أن روسيا قادرة على طرح مبادرة تهدف إلى إيجاد مخرج للأزمة الليبية، والذي من شأنه سحب أحد فتائل تفجير شرق المتوسط، فقد أعلن وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف رفض بلاده لفرض حظرٍ جوي فوق ليبيا، وهو اقتراح تقدمَ به رئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي في أواخر الشهر الماضي، واعتبر لافروف أن فرض الحظر الجوي «يعيد إلى أذهاننا أشياء غير مرضية» في إشارة إلى الحظر الذي فرض على ليبيا في 2011، وأشار وزير الخارجية إلى أن مصلحة الشعب الليبي تقضي وقف القتال الذي اعتبره شرطاً لبدء حوارٍ سياسي، وأوضح أن هناك العديد من المبادرات التي يجري طرحها وتداولها لحل النزاع الليبي، إلّا أنه أكّد أن الشرط الأساس لنجاح هذه المبادرات يكون عبر إطلاق مفاوضات دون شروط مسبقة، وإيجاد اتفاق يراعي «مصالح جميع القوى السياسية والعشائرية والعرقية المتواجدة في الأراضي الليبية».

وأما ما يخص الموقف الروسي من إرسال جنود أتراك إلى ليبيا، أعلنت وزارة الخارجية أن التدخل العسكري من شأنه أن يزيد من تعقيد الوضع أكثر، واعتبرت أن إرسال الجنود الأتراك سيثير ردود فعل من قبل دول الجوار، التي بات من الواضح اتفاقها على رفض هذا التدخل، وهو ما يبدو واضحاً عند كل دول شمال إفريقيا، وهو ما يجعل تركيا تدفع بنفسها إلى معركة مفتوحة دون غطاء كافٍ.

مصالح المنطقة أولاً

بات من شبه الثابت، أن يتبع كل تصعيد في المنطقة تراجعٌ وتفتيت لمسببات أزمات التي تشهدها المنطقة، ولا يحتاج الأمر إلى الكثير من البحث ليتضح أن ليبيا باتت نقطة قادرة على توليد المشاكل في مساحة جغرافية تفوق حجمها بعدة أضعاف، وهذا ما يناقض مصالح كل دول المتوسط، وهي- حتى لو بدت اليوم تتصارع على كل صغيرة وكبيرة- ستكون داعمة لمبادرة حقيقية لحل الأزمة الليبية، فهذا من شأنه إزالة فتيل التوتر الذي يعرض المنطقة للخطر، فالوضع الليبي يشكل تهديداً لأمن دول شمال إفريقيا ويجب إزالة هذا التهديد. ويحتاج حل هذا الملف إلى لجم تركيا، التي تخاطر بوجودها عبر اتباع أكثر الطرق وعورةً، ويبدو أن الموقف الروسي والتنسيق العالي مع تركيا حول مجمل قضايا المنطقة، يمكن أن يلعب دوراً جدياً بضرب المخططات الأمريكية في المتوسط، وأن يسمح بالتالي بحوار سلمي يصاغ كنتيجة له توافق بين دول المتوسط، يكون بعيداً عن دور الكيان الصهيوني والأمريكي من خلفه.

«السّيل الشمالي2»

سياسة الطاقة الأوروبية تحدد في أوروبا

بينما تتذرع الولايات المتحدة بأمن الطاقة لأوروبا، تراه روسيا «منافسة غير عادلة»، أما ألمانيا وعموم الاتحاد الأوروبي فيعتبرون العقوبات الأمريكية على مشروع نقل الغاز الروسي المسال إلى أوروبا هيمنة وتدخلاً غير مرغوب فيه بالشؤون الداخلية، فما قصة «السّيل الشمالي 2»، وأبعاده السياسية؟

■ يزن بوظو

بات عجز الولايات المتحدة الأمريكية عن المنافسة الشريفة يدفعها إلى «البلطجة» كسِمة عامة لسلوكها الدولي

تمتلك روسيا أكبر احتياطي من الغاز الطبيعي المسال، وتعتبر المورّد الأساس لعدد من الدول الأوروبية منه، وتأتي الولايات المتحدة الأمريكية بعدها. في 2011، تمت الموافقة على إقامة «السّيل الشمالي 2» بين روسيا وألمانيا، الأمر الذي يعني تقليص الاستيراد من واشنطن لصالح موسكو، ويُعزى السبب الأساس فيه بالنسبة لألمانيا هو فرق التكلفة بين البلدين، حيث يعتبر الغاز الأمريكي باهظ الثمن بالمقارنة مع الروسي، فضلاً عمّا يتبعه من شروط وإملاءات، أكانت اقتصادية أم سياسية، تُفضي إلى تعزيز الهيمنة الأمريكية والتحكم بالسوق الأوروبية. مع تراجع الولايات المتحدة دولياً خلال السنين الماضية، وبروز الخلافات الأوروبية- الأمريكية على مختلف القضايا، باتت مسألة «المنافسة» تلك جزءاً من بعد سياسي واستراتيجي بالنسبة لكل مِن أمريكا وأوروبا وروسيا، كُلٌ حسب مصالحه وخططه.

بلطجة أمريكية

ترى واشنطن اليوم أوروبا كساحة منافسة بينها وبين روسيا، ومع عجزها عن المنافسة بشكل «نزيه»، كأن تُخفض تكلفة سعر الغاز الأمريكي مثلاً، باتت تنتهج «البلطجة» كسمة عامة لسلوكها الدولي، فتقوم الولايات المتحدة اليوم باستخدام العقوبات عبر استغلال سلاحها الأساس، الدولار، لتعلن مع نهاية العام المنصرم فرض عقوبات على الشركات والشخصيات القائمة على عمل «السّيل الشمالي 2»، بعد أن شارف على الانتهاء ونفذت هذه الشركات ما يقارب 90% منه، بذريعة مساسه بأمن الطاقة لأوروبا، مما دفع بشركة «Allseas» السويسرية إلى تعليق أعمالها وسحب سفنها، وبمعنى آخر، عرقلة إتمام المشروع مؤقتاً.

تحدث الرئيس الأوكراني، فلاديمير زيلينسكي: «إنها ليست مجرد مسألة أمن طاقة، إنها مسألة جيوسياسية، إن الأمر يقوّي روسيا ويُضعف أوروبا»، لكن في الحقيقة، ما يعنيه زيلينسكي هو أنه يُضعف أمريكا، فأوروبا ورغم وزنها، إلا أنها بدولها لم تكن بالعقود الماضية سوى تابع بالنسبة لواشنطن خلف مسمى «حلفائها»، فلا توجد مساواة بين أوروبا وأمريكا. ما يقصده زيلينسكي حقاً هو أن الأمر يقوّي روسيا وأوروبا ويُضعف أمريكا، فهو على الأقل يضمن علاقات اقتصادية بين روسيا وأوروبا من شأنها أن تزيد الترابط بينهما، وهذا ما يصب في مصلحة الطرفين، فهو يؤمن لروسيا علاقات تقوم على الثقة مع أوروبا، ويؤمن لأوروبا موارد أرخص للطاقة واستقلالية أكبر في اتخاذ قراراتها الاقتصادية.

المصالح الروسية؟

تختلف رؤية هذه المصالح والأبعاد حسب موقع الناظر إليها، فمن لا يزال يُفكر بفلك عقلية الفضاء السياسي القديم الذي صنعته واشنطن خلال فترة تفرّدها عرش العالم، يرى روسيا من منظور أحادي مُساوٍ لأمريكا ومصالحها بـ«الهيمنة» الدولية، مُتناسياً بذلك أن روسيا نفسها وبمصالحها التي تدفعها موضوعياً، تسعى إلى «كسر الهيمنة» الغربية عموماً والأمريكية خاصةً، وما يصاحبها من تهديدات أمنية ووطنية، عن نفسها أولاً- وبذلك ومع حلفائها- وعن باقي دول العالم، بما فيه أوروبا، وكان قد قال المتحدث باسم الرئاسة الروسية، ديميتري بيسكوف، رداً على العقوبات الأخيرة: « إن هذه التصرفات تمثل انتهاكاً مباشراً للقانون الدولي، ومثالاً صارخاً على منافسة غير نزيهة وبسط هيمنة مصطنعة على الأسواق الأوروبية، عبر إجبار المستهلكين الأوروبيين على شراء منتوج أغلى وغير قادر على المنافسة، هو غاز طبيعي أكثر غلاء»، وحول سلوك «البلطجة» الأمريكية هذا، قال وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف «لم أكن أتصور قط أن السياسيين يمكن أن يصلوا إلى مستوى مثل هذه القرارات غير المشرفة»، فهذان تصريحان يعبران عن الموقف الروسي ومصالحه الجيوسياسية خلف «السّيل الشمالي-2»، والذي يمكن اختصاره بأنه كسرٌ للهيمنة الأمريكية الأحادية على أوروبا.

تتلاقى تلك المصالح الروسية مع الأوروبية نفسها، حيث إن تراجع واشنطن دولياً يعطي أوروبا الفرصة لنزع الهيمنة الأمريكية، ويمكنها من نيل الاستقلالها

الرغبة الأوروبية

تتلاقى تلك المصالح الروسية مع الأوروبية نفسها، حيث إن تراجع واشنطن دولياً يعطي أوروبا الفرصة لنزع الهيمنة الأمريكية، ويمكنها من نيل استقلالها. وما مشروع الغاز هنا إلا أحد المفاتيح والمؤشرات لهذه النزعة الأوروبية، وهو ما يدفع الولايات المتحدة للصراع معهم، فقد أكدت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل معارضة بلادها للعقوبات قائلة «إننا نعتبر مثل هذه الممارسة لفرض عقوبات عابرة للحدود غير مقبولة»، وقال وزير الخارجية الألماني «إن سياسة الطاقة الأوروبية يتم تحديدها في أوروبا، وليس في الولايات المتحدة. ونرفض من حيث المبدأ الهجمات الخارجية والعقوبات من خارج الحدود»، لتعبّر تصريحات ألمانيا تلك عن هذه الرغبة، وما تقدمه روسيا من تعاونٍ في هذا الإطار.

فشل واشنطن

على الرغم من كل هذا الضجيج الآتي من العقوبات الأخيرة، إلا أنها لا تعني سوى «إعطاء دفعة للغاز الطبيعي المسال القادم من الولايات المتحدة إلى أوروبا» كما قال لافروف، أيّ كسبها لبعض الوقت. فعملياً لم يحدث تأثير لها إلا على شركة Allseas بسحبها لسفنها، وقال وزير الطاقة الروسي على إثر ذلك «لدينا إمكانية استكماله اعتماداً على وسائلنا الذاتية» وكان الرئيس فلاديمير بوتين قد أكد أيضاً أن «لدى روسيا سفناً متخصصة في مد الأنابيب، بمقدورها استكمال مدّ أنبوب السّيل الشمالي 2»، أما على المستوى السياسي فقد قال وزير التنمية الاقتصادية الروسي، مكسيم أوريشكين، إن الضغوطات الأمريكية تعطي زخماً للتقارب ولتطوير العلاقات بين روسيا وأوروبا، مضيفاً: « كما تلاحظون هذا العام لدينا اتصالات أوسع مع أوروبا، ليس فقط من جانب قطاع الأعمال، لكن على المستوى السياسي أيضاً».

وأما من الداخل الأمريكي نفسه، فقد نشرت صحيفة «بلومبرغ» مقالاً يتحدث عن فشل الأمريكيين في منع إتمام مشروع «السّيل الشمالي 2»، ذاكرةً فيه أن العقوبات الجديدة- التي تم تبنيها في إطار مشروع قانون الدفاع الأمريكي- تأتي متأخرة على نحو ملحوظ، ولن تؤثر على بناء خط الأنابيب، و أن الولايات المتحدة الأمريكية الآن لا تملك الوسائل المناسبة لمنع استكمال خط الأنابيب بين روسيا وألمانيا، وبالتالي فقد ضاعت سنوات من الجهود المبذولة لمنع إقامة هذا المشروع.

2019... جردة حساب «الخارجية الروسية»

نشرت وزارة الخارجية الروسية في 30 كانون الأول بياناً مطولاً استعرضت ضمنه أهم نتائج سياستها الخارجية في العام الماضي، ونعرض فيما يلي مقتطفات من هذا البيان على أن ينشر كاملاً على موقع «قاسيون».

■ إعداد: عتاب منصور

«ركزت روسيا جهودها في 2019 على تخفيف التوتر الدولي، وبناء تعاون متنوع مع البلدان والتكتلات التي أبدت استعداداً متبادلاً لتطوير العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل والمصلحة المشتركة. واتبعت موسكو خطاً يضمن سيادة القانون الدولي والحفاظ على الدور الرئيس لمنظمة الأمم المتحدة في السياسة العالمية، من أجل البحث عن حلول سلمية للصراعات والحدّ من المواجهات حول العالم، بما في ذلك كوريا الشمالية وإيران وفنزويلا. كما أولت الوزارة اهتماماً خاصاً لتعزيز الأمن الجماعي في إطار منظمة معاهدة الأمن الجماعي، وتعزيز التكامل الاقتصادي في إطار الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، وضمان مشاركة روسيا في مجموعة العشرين، وبريكس، ومنظمة شنغهاي للتعاون، ومجلس القطب الشمالي وغيرها من المنظمات الواعدة متعددة الأطراف. كذلك أكدت مبادرة روسيا لتشكيل شراكة أوراسية كبرى كمفهوم جامع مؤطّر لآفاق التعاون الدبلوماسي والسياسي.»

أولويات روسيا

أشار البيان إلى أن أولوية السياسة الخارجية الروسية كانت دائماً منطقة اتحاد الدول المستقلة «CIS» وهي منظمة دولية مكونة من 12 جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، وقد مرَّ البيان على نقاط التقارب والاتفاقيات الثنائية الموقعة بين روسيا وبين هذه الجمهوريات، وذكر البيان أنَّ «هناك تنسيقاً متزايداً في السياسة الخارجية في إطار منظمة معاهدة الأمن الجماعي، حيث تم اعتماد عدد من البيانات المشتركة حول القضايا السياسية الدولية الملحة. وبناء على مبادرة روسية، أرسل وزراء خارجية دول المنظمة نداءً صريحاً لمنظمة حلف شمال الأطلسي «الناتو» لدعوتها إلى الخفض من تصعيد الوضع السياسي والعسكري وتعزيز تدابير بناء الثقة بين دول العالم. ووافق مجلس الأمن في منظمة معاهدة الأمن الجماعي على وثائق في مجال التعاون بمكافحة الإرهاب، وتعزيز أمن الحدود الجنوبية لدول المنظمة، وتنسيق الأنشطة المشتركة للاحتفال بالذكرى الـ 75 للنصر في الحرب الوطنية العظمى 1941–1945».

روسيا وآسيا

أما التعاون مع الاتحاد الاقتصادي الأوراسي فأشار البيان إلى «الاتفاق على وثيقة تحدد التوجهات الإستراتيجية لتطوير التكامل الاقتصادي الأوروبي الآسيوي حتى عام 2025، وتمت الموافقة على مفهوم تشكيل السوق المالية المشتركة المزمع انطلاقها عام 2025» وأعلن عن ازدياد استخدام العملات الوطنية في التبادل التجاري بين الدول الأعضاء، وهو جزء من التوجه العالمي للاستغناء عن الدولار في التبادلات التجارية المشتركة.

وتطرق البيان إلى تنفيذ برامج تعاون بين اللجنة الاقتصادية الأوراسية ورابطة دول جنوب شرق آسيا «ASEAN» للفترة 2019–2020، بالإضافة إلى اتفاقيات مع الهند، وتمتين العلاقات معها، التي وصفها البيان أنها علاقات إستراتيجية مميزة. وجرى تشكيل منطقة تجارة حرة بين الاتحاد الأوراسي وإيران.

وأما ما يخص العلاقات الروسية الصينية، قال البيان إن علاقات الشراكة والتفاعل الاستراتيجي قد تعمقت عن طريق «التكامل العضوي مع الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، وهو ما كان له أثر في تعزيز استقرار الوضع الدولي. ومع بدء تشغيل خط أنابيب الغاز العابر لحدود سيبيريا، ووصل التعاون الثنائي في مجال الطاقة إلى مستوى جديد، وكل ذلك بالتزامن مع إعلان عامي 2020 و2021 أعوام التعاون العلمي والتقني والابتكاري الروسي الصيني. كما طورت وعززت روسيا بالاشتراك مع الصين «خطة عمل» جديدة للتسوية الشاملة للوضع في شبه الجزيرة الكورية»

الملف السوري وتركيا

أما ما يخص الملف السوري، قالت الخارجية الروسية إنها استمرت ببذل الجهود في سبيل استقرار الوضع في سورية، وعملت على حل المشكلات الإنسانية الملحة، ودفع عملية التسوية السياسية للأزمة، وفي هذا الإطار «حافظت الخارجية الروسية على تعاون وثيق مع كل من إيران وتركيا في إطار منصة أستانا، ومن خلال المساهمة الحاسمة للدول الضامنة تم تشكيل اللجنة الدستورية، والتي تأتي في سياق تنفيذ مقررات مؤتمر الحوار الوطني السوري في سوتشي» وهو ما أعطى للسوريين ولأول مرة «فرصة لنقاش مستقبل بلادهم بشكل مباشر»

وأشار البيان إلى توقيع وتنفيذ المذكرة الروسية–التركية بتاريخ 22 أكتوبر حول ما وراء الفرات، و«التي أوقفت سفك الدماء، وأسهمت في استقرار الوضع في شمال شرق سورية... وكان لتنفيذ عدد من المشاريع الإستراتيجية مع تركيا بعدٌ إستراتيجيٌ واضح، حيث يستعد خط أنابيب «السّيل التركي» للانطلاق، وتم الانتهاء من تسليم الفوج الأول من منظومات الدفاع الصاروخي «إس–400».»

الولايات المتحدة الأمريكية

أما ما يخص العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، اعتبر البيان أن الصراع السياسي الداخلي في الولايات المتحدة الأمريكية «أعاق تطوير حوار بناء مع واشنطن، إلا أن الاتصالات استمرت بشأن قضايا مكافحة الإرهاب وعدد من القضايا الإقليمية، بما في ذلك الوضع في سورية وأفغانستان وشبه الجزيرة الكورية».

الصورة عالمياً

• تظاهر المئات من الأردنيين في عمّان للاحتجاج على بدء ضخّ الغاز من الكيان الصهيوني إلى الأردن يوم الأربعاء الماضي. وهتف المتظاهرون «علّي الصوت من عمّان ما بدنا غاز الكيان».

• أعلن رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، أنه سيقوم «بتوحيد بلاده المنقسمة في العام الجديد» بعد أن تنسحب بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وهي المهمة التي لم يستطع تحقيقها في العام الماضي.

• دعت وزارة خارجية الصين إلى معالجة التوتر بين طهران وواشنطن عبر الحوار. وقال بيان صادر عن وزير الخارجية الصيني، وانغ يي، إن بلاده ستعلب دوراً بناء للحفاظ على السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط.

• أعلن الممثل التجاري الروسي في إيران، رستم جيغانشين، أن حصة الحسابات المتبادلة بين روسيا وإيران بالعملات الوطنية وبعيداً عن الدولار تجاوزت الـ50 % بعد أن كانت بحدود 40% في العام الماضي.

• تسلَّم الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون، رسالة من الرئيس المؤقت السابق عبد القادر بن صالح اليوم السبت، يطلب فيها إنهاء عهدته على رأس مجلس الأمة «الغرفة الثانية في البرلمان».

• أعرب الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، عن قلقه من إعلان كوريا الشمالية عن نيّتها استئناف التجارب النووية، مشدداً على دعمه الحوار حول نزع السلاح النووي في المنطقة.

السقوط في فخ الوسط

لا يمكننا في مواجهة اليمين الفاشي أن نقف مكتوفي الأيدي، وهو الأمر الذي يدعونا للذهاب إلى اليسار الجذري لمجابهة الدعاية الشعبوية- اليمينية. لكن إن أخفقنا، وخاصة تحت شعارات كسب أكبر قدر من الناخبين، في التمسك بمواقفنا لتغيير المنظومة المهترئة جذرياً وبناء منظومة المنهوبين مكانها، عندها سنفسح الطريق للفاشيين كي يكسبوا على حساب تلكئنا في تبني قضايا الجماهير. إنّ تحقيق الفاشيين مكاسب بسبب تقهقر اليسار عن مواقفه الجذرية والعودة للوسط المحتضر، مأساة مفاهيمية يمكن لنا أن نرى آثارها المتكررة بشكل جليّ في الانتخابات البريطانية العامّة الأخيرة، ومن هنا تأتي أهمية اختيار هذا المقال كأمثولة عن السقوط في فخ الوسط. «فالعمّال» هناك لم يخسروا 800 ألف مصوّت من صفوفهم لصالح «المحافظين» وحسب، بل كذلك خسروا 2,5 مليون بقوا في منازلهم، ولم يصوتوا للحزب بسبب تراجعه إلى الوسط.

■ جورج ويست وآخرون
تعريب وإعداد: عروة درويش

الجميع متفق على أنّ الفوضى تعمّ النظام النيوليبرالي، وأنّ الفضاء السياسي العالمي المضطرب- من ترامب وبيرني، إلى خروج بريطانيا الشائك من الاتحاد الأوروبي «بريكزت»، وليس نهاية بما شهدته الانتخابات الألمانية والفرنسية والإيطالية- يشهد على تداعي الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية وتصاعد نجم اليمين المتطرف.

ولا يشذّ عن ذلك ما سمي بولادة الكوربينية «نسبة لجيرمي كوربين زعيم حزب العمّال، والدالّة على عودة اليسار الأوروبي عن مواقع الوسط»، والتي بات الكثيرون اليوم يقولون بأنّها ماتت في مهدها. وإذا ما نظرنا إلى التحليلات السياسية الليبرالية للأمر، فسنجدهم يصرون على أنّ المسألة ليست أكثر من مسألة «استقطاب» بين الأحزاب. لكنّ التحليل الليبرالي يفتقد لعنصر أساس حرّك هذه التطورات في المقام الأول: رفض الطبقة العاملة المتزايد والصلب للوضع القائم، وقطعهم مع السياسات والسياسيين الذين يتاجرون بدمائهم، بغض النظر عن التسميات التي يختارونها لأنفسهم.

تزامن اليسار واليمين

لطالما تزامن صعود «أقصى» اليسار مع صعود أقصى اليمين ضمن توتر ديالكتيكي ثابت: فكانت المعارك في الشارع بين الحركات العمالية في حينه- وعلى رأسها الحزب الديمقراطي الاشتراكي- و«كتائب العاصفة» الفاشيّة الموالية للنازية من السمات الرئيسة لجمهورية فايمر الألمانيّة «1918- 1933». في بداية العشرينات كانت ألمانيا على وشك أن تشهد ثورة شيوعية كاملة، ثمّ في 1933 بات الحزب النازي هو الأكبر في البرلمان الألماني.

كما يؤكد التاريخ المعاصر على أنّ هذا المبدأ لا يزال قائماً. شهدت الانتخابات اليونانية عام 2015 سابقتين: حصول سيريزا من الجناح اليساري على الأغلبية، وصعود نجم «الفجر الذهبي» الفاشيّ علناً ليصبح ثالث أكبر قوة سياسية في البلاد.

ذهب المقترعون الفرنسيون بأعداد كبيرة في 2017 ليدعموا رؤى ميلانشون الاشتراكية، وكذلك رؤى لو بان القومية اليمينية. وقبل أشهر من ذلك صعد في الولايات المتحدة نجم الاشتراكية- الديمقراطية عبر بيرني ساندرز، قبل وقت قصير من وصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض.

يذهب التحليل السطحي الممل من كثرة تكراره إلى أنّ هذا يشير إلى تحول كبير نحو اليمين، يُدفع إليه الفقراء وغير المتعلمين. لكنّ نظرة سريعة إلى دراسات إحصائيات الانتخابات تكشف لنا عن أنّ الطبقة العاملة تتحول بسرعة وبشكل مفاجئ في ردود فعلها الانتخابية. إنّ مكاسب لوبان في انتخابات 2017 يمكن فهمها فقط في هذا السياق، والتي تشكل خسارة حزب ميلانشون الاشتراكي جزءاً منها.

حدث هذا بشكل مكرر على طول العالم: فحيث اتبعت الأحزاب اليسارية ما يدعى بالنموذج البليري «نسبة لطوني بلير والدال على يسار الوسط» في تعاملها مع النيوليبرالية، سقطت. وفي غياب بدائل يسارية قابلة للحياة، كانت أحزاب أقصى اليمين هي المستفيد الرئيس من هذا السقوط.

رفض الطبقة العاملة المتزايد والصلب للوضع القائم وقطعهم مع السياسات والسياسيين الذين يتاجرون بدمائهم بغض النظر عن التسميات التي يختارونها لأنفسهم

أساطير سياسية

رغم آلاف الأعمدة في الصحف والمحاضرات والبرامج التلفزيونية التي حاولت أن تقنعنا بأنّ صعود ترامب كان سببه حشد المقترعين البيض العنصريين، فقد كشفت لنا الإحصاءات والأرقام كذب هذه القصة: فمن بين كلّ أربعة عمّال بيض البشرة ممّن اقترعوا لصالح أوباما في 2012، هناك واحد رفض الاقتراع لكلينتون في 2016، والعديد من هؤلاء انتقلوا إلى معسكر ترامب، وخاصة الذين ينتمون إلى ما يسمّى «الحزام الصدئ» لحقبة ما بعد التصنيع، والذين تجاهلتهم كلينتون ووعدهم ترامب بالتحوّل الاقتصادي وإعادة الصناعة للولايات المتحدة.

فإذا ما قارنّا بين انتخاب أوباما في 2008 وكلينتون في 2016، فسنجد أنّ أكثر من 4,4 ملايين مقترع قد قاطعوا التصويت نهائياً. ولهذا فالقول بأنّ المقترعين الذين أوصلوا أول رئيس أسود في تاريخ أمريكا قد تحولوا لانتخاب الرئيس العنصري بشكل علني لأنّهم عنصريون، أمر يثير الضحك. إنّ ما حصل في الحقيقة أنّ هؤلاء المقترعين قد رفضوا وعد كلينتون بالمزيد من اللاشيء الذي اختبروه- معظمهم من السود واللاتين من الطبقة العاملة- عنى هذا امتناع بعضهم عن التصويت إحباطاً، وانتقال آخرين للتصويت لعرض ترامب بالتغيير لملء الفراغ. إنّه ذات ما حدث عند اقتراع البريطانيين في 2016 لصالح التغيير الذي أملوه في بريكزت.

لقد مضى ملايين البريطانيين لمساندة بيان التغيير الذي طرحه حزب العمّال والذي كان الأكثر جذرية ومناهضة للعنصرية منذ عقود، لكنّهم فقدوا الإيمان بحزب العمّال عندما تراجع عن وعوده لصالح إجراء استفتاء آخر للخروج من الاتحاد الأوروبي، ما وشى بالاستمرار بالوضع القائم، الأمر الذي لم تتسامح به الجماهير.

وكما قال الكثيرون من قبل: كان بيرني ساندرز ليفوز على ترامب، ينطبق ذات الأمر على ليكزت «أي الخروج من الاتحاد الأوروبي على طريقة اليسار، وليس بطريقة اليمين التي يسعى لها حزب المحافظين».

ولكن لأكون واضحاً هنا، ولأسهب في شرح ما أعنيه تحاشياً للتعليقات المملة: لا يعني ما أقول بأنّ ناخبي حزب العمال من الطبقة العاملة قد تحولوا ببساطة بحشودهم لمناصرة حزب المحافظين. فرغم وجود دلائل على حدوث ذلك إلى حدّ ما، فمن بين من صوتوا لصالح العمّال في 2017 هناك 25% منهم قد انتقل للتصويت لصالح المحافظين. المشكلة الحقيقة في الـ 2,5 مليون الذين صوتوا في 2017 وامتنعوا عنه في 2019، ما يشير إلى إحجامٍ في الإقبال العام بنسبة 1,5%.

فمثلما حدث في أماكن أخرى من أوروبا وفي الولايات المتحدة، لم يعد المقترعون مهتمين بالتصويت لبقاء الوضع القائم، الأمر الذي تجلّى في بريطانيا في التنصل من الانسحاب من الاتحاد الأوروبي. فإذا ما أردنا الدخول في تفاصيل فقدان زعيم حزب العمال كوربين للثقة التي كانت سائدة فيه في 2017، لرأينا بأنّ التغيّر الوحيد المهم الذي حصل من حينه، هو الوعد بإجراء استفتاء خروج ثانٍ من الاتحاد الأوروبي، وذلك في تناقض حادٍ

وتشتيت الطبقة العاملة

مع رسالة جونسون المنافقة ولكن الواضحة: «لننتهي من بريكزت».

إنكار الوسط

ليس المقصود بما نقول أن نلغي دور العنصرية كعامل فيما حدث، فهذا الدور كان فاعلاً ولا يزال قائماً، وعلينا أن نبذل كلّ جهد ممكن لإيقافها. لكن هذا يأخذنا إلى السؤال الواجب طرحه لتصويب الاصطفاف، مع استمرار انهيار الوسط ومع هجر قطاعات واسعة من الطبقة العاملة له، لماذا لا يزال قسم من اليسار يرفع رايته؟ لماذا تصرّ قيادات هذا «اليسار» البريطاني على تبني البقاء في الاتحاد الأوروبي؟

قد يكون السؤال الأهم هنا: من سمح لهؤلاء بتولي دفّة الأمور والحصول على كلّ قوة التأثير هذه؟ كيف تمكنوا من إيجاد تربة صالحة لمطامحهم السياسية، ولماذا لم يتم اقتلاعهم أو تشذيبهم بشكل كبير حتّى يتوضح الفارق بين الجذري والوسطي؟

أظنّ بأنّ الجواب يكمن فيما يسمى باليسار الأكاديمي وتأثيره في الطبقة الوسطى وعدم ثقتها بالطبقة العاملة وازدرائها لقيمها على أنّها متدنية وشعبوية. فمع عدم القدرة على إنكار سقوط الوسط السياسي كما تحدثنا، بدأ الكثير من سياسيي الوسط ووسائل إعلامهم يسعون بيأس لتبرير الأمر.

وقد قادهم تركيزهم على مكاسب اليمين إلى نفخ الحياة في شبح «الشعبوية» للاختباء خلفه وعدم الاعتراف بعدم أهليتهم. ومضى بعضهم إلى أبعد حد من خلال النبش في قبور الأفكار المناهضة للديمقراطية منذ زمن أفلاطون، ليتذرعوا بأنّ هذا الأمر دوريّ الحدوث لا دخل لاصطفافهم بإيقاظه، وذلك على طريقة المُنعمين الذين يحتاجون دوماً لشماعة.

تمّ وَسم المقترعين من الطبقة العاملة بأنّهم جهلة ومخيفون ومتخلفون ثقافياً وأخلاقياً، القصة التي تمّ تقيؤها مراراً وتكراراً فيما بعد بتعديلات تناسب كلّ من يطرحها من المنتمين للطبقة الوسطى، وهم في الحالة البريطانية المؤيدون للبقاء في الاتحاد الأوروبي. يمكن للمرء أن يتخيل هنا أحد الخريجين الجدد مستيقظاً في سريره يحمل جهازاً لوحياً إلكترونياً في يد، وكوب قهوة ساخنة في أخرى، مرعوباً وشاحب الوجه بسبب ما يقرأ من أخبار في صفحة الغارديان، جاحظ العينين من نوايا مؤيدي بريكزت القاسية بالمهاجرين.

إنّ هؤلاء، ملتصقون بخوفهم وازدرائهم للعمال، يتبعون تأثير شخصيات «يسارية» مرموقة ترفض هذا التحليل وتستمر بتكرار وإعادة ذات المصطلحات فارغة المحتوى عن الديمقراطية والمساواة والعدالة التي فقدت معناها نتيجة تكرارها بشكل أجوف طوال العقود الأربعة الماضية. لكنّ هؤلاء البارزين– الذين يسمون أنفسهم يساريين وشيوعيين– يمكن فهم موقفهم المصلحي، فمهنتهم تعتمد بشكل أساس على أن يظهروا بهذا الشكل وعلى تكرار هذه المصطلحات ليبقوا على مصالحهم وارتباطاتها حيّة.

إنّ إعادة إنتاج خطاب البقاء في الاتحاد الأوروبي يُعد جوهرياً ولازماً للإبقاء على إيديولوجيا الطبقة الوسطى حيّة، وهي ما يُظهر بأنّ إيديولوجيا الطبقة الوسطى لا زالت تُهيمن على الكثير من الأحزاب اليسارية بدورها الوظيفي لا العددي. إنّ هذه الهيمنة تجعلهم ينكرون مصالحنا ويشوهون ثقافتنا ويُسكتون أصواتنا.

مهاجمة «اليسار» للطبقة العاملة

يتم الهجوم على الطبقة العاملة عبر صيغتين. الأولى بسيطة: هاجمها بذات المصطلحات التي تستخدمها المؤسسة الليبرالية، وتجنب تماماً أيّة إشارة للعداء الطبقي، ولكن ألبس هجومك قناع «النقد يساري الطابع».

الصيغة الثانية أكثر تعقيداً وتعتمد بشكل رئيس على السفسطة الأكاديمية: أعد تعريف الطبقة العاملة، أو قم على الأقل بوضع معايير لشرعنة الطبقة العاملة بهدف استبعاد كلّ من لا يلائم القالب المثالي عالمي الطابع.

يمكننا أكثر ما يمكن إيجاد أمثلة توضيحية عن نجوم هذا الهراء في السياق البريطاني في تعليقات نجمي «اليسار» الإعلاميين: آش ساركار من نوفارا للإعلام، وأوين جونز من صحيفة الغارديان.

صوّرت ساركار فلماً «استطلاعياً» سابقاً للاستفتاء وهي تتجوّل في شوارع منطقة باركينغ، البلدة التي يعيش 30% من أطفالها عند خط الفقر، وكانت تسأل أسئلة مفصلية لمجموعة أغلبيتها الساحقة من الطبقة العاملة البيضاء ذات اللهجة المحلية الجافّة. ثمّ انتقلت لإظهار نقيض هذه المجموعة «غير المتحضرة» والتقت بمجموعة من ملوني البشرة الذين يرتدون ملابس أنيقة وفارهة ويتحدثون ببراعة.

لن تخفى على أحد طريقة إعداد هذه الفيديوهات وانتقاء قلّة من اللقطات من بين مئات أخرى ليتم عرضها بحسب السعي لما تريد إظهاره. لكن ورغم ذلك، فلم تجد بين من التقتهم من البيض من صرّح بتعصب عنصري وثقافي أعمى. لقد عبّر جميع من التقتهم عن استيائهم من نقص الوظائف، وخنق شبكة الصحة العامّة والإسكان.

«كراهية المهاجرين» التي تحدثت عنها ساركار كثيراً فيما بعد، لم نشهد لها في مقابلاتها إلّا تصريحات سطحية، من قبيل تصريح أحد الشبان البالغ سنّه 17 عاماً عندما اشتكى من أخذ المهاجرين للوظائف، وأضاف بعدها: «أعلم بأنّ الأجانب ليسوا هم الملومين، فبعضهم أطباء وينقذون حياتنا»، ثمّ أطرق بعينيه للأرض بهيئة معتذرة تعبّر عن كونه يبحث عن إجابة، وليس عنصرياً.

لا فرق لديهم أيّ انتماء له. فهؤلاء بالنسبة لهم مجرّد «شعبٌ متخلّف» لا يستحق جهد البحث في احتياجاته الحقيقية ولا حشده للدفاع عن قضاياه

وفي أحاديث ساركار اللاحقة الكثيرة عن نتيجة مقابلاتها هذه، لم تشر إلى المخاوف الطبقية والاقتصادية التي عبّر عنها من قابلتهم. بل لجأت بدلاً من ذلك إلى التشكي من «النشاز المعرفي» والرغبات العنصرية «بتسيّد البريطانيين»، الرغبات التي لم يعبر عنها أحد ممن قابلتهم. واستمرت بترديد أنّهم يعتبرون «بياضهم» مؤهلاً لهم ليحصلوا على الأشياء.

ألم يستطع هذا الجناح «اليساري» أن ينظر أبعد من ذلك ليرى بأنّ من حقّ هذه الطبقة العاملة، بغض النظر عن لون بشرتها، أن تحظى بوظائف وخدمات عامة محترمة؟ ألم يكن الفقر الذي يدهمهم باستمرار سبباً لإرباكهم وحنقهم؟ ألم يكن أولى أن يبحث هذا الجناح عمّن حوّل المهاجرين إلى رمز لهذه المخاوف الاقتصادية؟ هل بذل أحدهم الجهد ليكون «يساراً» بدلاً من التحلل من الخطاب الطبقي بالكامل؟

محاربة العنصرية، كيف؟

لنكون واضحين، لا يجب التسامح مع أيّ سلوك عنصري يظهره أيّ شخص، ولا يجب تبريره، فالسلوك العنصري خطير ويجب محاربته. لكن هل التعبيرات العنصرية التي يتبناها البعض من الطبقة العاملة تجعلهم عنصريين بالطبيعة ولا رجعة لهم عنها؟

عندما تحدث جورجي ديمتروف عن أنّ المهمة الرئيسة للأحزاب الشيوعية هي: «تنظيم نضال مشترك للعمال الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين... وبقية العمال ضد هجوم رأس المال وضد الفاشية وخطر الحرب» كان يعلم تماماً عن «الاستقطاب» اليميني لمجموعات العمّال خائبي الأمل بالوضع القائم، وكان متيقناً بأنّ أصحاب التعبيرات الفاشيّة ليسوا جميعاً فاشيين بطبيعتهم لا يمكن إرجاعهم لتبني تعبيرات تدلل على مطالبهم الحقيقية ووسائل تحقيقها.

إنّ مشكلة هؤلاء الحقيقية، والسبب الأساس الذي دفعهم إلى حضن اليمين الصاعد وإلى خطبه الشعبوية هو الفراغ الذي سببه غياب خطاب يساريّ حقيقي. والمسؤول عن غياب يسارٍ حقيقي هم «يسار الوسط الليبرالي»، فهل يمكن بعد هذا أن نتوقع منهم الاستماع إلى «يسار» يرغب بإبقاء الأوضاع على حالها مع وضع بعض الألوان التجميلية؟

وكما قال النقابيّ البريطاني إيدي ديمبسي– الذي كان محل هجوم شرس من هؤلاء التجميليين رغم تاريخه المشهود في تنظيم العمّال المهاجرين الذين لم يعرهم أحد الأهمية– في مسيرة ليكزت في آذار 2019 فالسبب الرئيس الذي يدفع بهؤلاء للذهاب إلى عروض اليميني المتطرف تومي روبنسون أو أيّة مسيرات مشابهة له، هو أنّها توحدهم ضدّ شيء واحد يكرهونه هو اليسار الليبرالي، «وهم محقون في كراهيتهم له».

ورغم محاولات التجميليين في دفاعهم عن مواقفهم إظهار ديمبسي وأمثاله– ليس في بريطانيا فحسب بل على طول العالم– وكأنّهم يريدون التخلي عن قسم من الطبقة العاملة، تحديداً المهاجرين والأقليات العرقية والدينية، فالحقيقة أنّهم هم من يريدون التخلي وبشكل واضح عن القسم الأكبر والأهم من الطبقة العاملة، أي باختصار: كلّ من لا يعتبرونه ملائماً لمعاييرهم الأكاديمية عن «اليسار الراقي»، ولا فرق لديهم أيّ انتماء له. فهؤلاء بالنسبة لهم مجرّد «شعبٌ متخلّف» لا يستحق جهد البحث في احتياجاته الحقيقية، ولا حشده للدفاع عن قضاياه.

أساطير البحر الأسود

صدرت الترجمة العربية لكتاب «أساطير القرم» نهاية العام الماضي 2019، و«أساطير القرم» كتاب صدر باللغة الروسية عام 1961 عن دار القرم للطباعة والنشر، واحتوى ترجمة لـ 34 حكاية أسطورية من شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود. كل الحكايات مجهولة المؤلف، باستثناء واحدة للأديب مكسيم غوركي، وهي حكايات نابعة من التراث الشعبي الذي تناقلته الأجيال شفاهاً لقرون عديدة.

■ لؤي محمد

حسب وجهة نظر الكاتب مكسيم غوركي فإن أساس الأدب يكمن في الفولكلور أي أدب الشعب، والفولكلور مادة خام كبيرة وهو مصدر ومعين للشعراء والأدباء جميعهم، فإذا فهمنا الماضي جيداً، كان نتاجنا الحالي رائعاً جداً وسنفهم آنذاك بدقة أهمية الفولكلور.

حكايات أسطورية

ككل حكايات الشرق القديم، اتسمت معظم الحكايات الـ 34 بطابع التشريق والأسلوب البسيط، ولم تخلُ من المبالغة حول أبطال الحكايات وتفاعلهم مع القوى «الخارقة» مثل السحرة والمشعوذين، وأحداثها مستمدة من مشاهد ملموسة من البيئة كالجبال والصخور والبحار والمدن والقرى والقلاع وغير ذلك.

تبلورت الأساطير تاريخياً عند العديد من الشعوب لتفسير بعض المظاهر التي تتعلق بالطبيعة والإنسان، وحسب كتاب «الموسوعة الفلسفية»، تعرف الأساطير بأنها، مجموعة حكايات ظهرت في المراحل الأولى للتاريخ، وكانت صورها الخيالية محاولات بدائية لفهم وشرح الظواهر المختلفة للطبيعة. لذلك تشكلت أغلب الأساطير من وحي الخيال، في مشاهد تتغلب على قوى الطبيعة، وتعطي تفسيراً خيالياً لكثير من ظواهرها. ولا تخلو أيضاً من الأساليب الأدبية المشوقة والحكم والدروس الفلسفية. وحسب لابيير، فإن الأسطورة عبارة عن شائعة أصبحت جزءاً من تراث الشعب الشفهي، ومن الناحية اللغوية كثيراً ما نستخدم كلمة شائعة مكان أسطورة والعكس صحيح.

المهد المخبأ

تشير أغلب الحكايات إلى بطولة الشعوب، ودورها النضالي ضد الغزاة والمحتلين، والتصدي لقوى الشر. ومنها حكاية «المهد المخبأ في جبل باسمان».

والمهد المخبأ، حكاية تصور تعلق الشعب الجبلي بإرثهم المقدّس «المهد الذهبي»، وصمودهم في وجه الغزاة الساحليين. وشعارهم: «إن أبناء شعبنا لا يخافون أحداً، وأحرى بهم أن يسقطوا جميعاً عن بكرة أبيهم في ساحة المعركة من أن يبيعوا كرامتهم». ويرمز المهد والجبل إلى التعلّق بأرض الوطن ومقاومة الغزاة.

الحصن الطويل

في «الحصن الطويل»، وهي حكاية روسية قديمة عكست اصطفاف الناس ضد جشع النقود، يظهر التاجر كرمز للسلطة الجائرة، ويتوحد الشعب ضده لاستعادة حقوقه المنهوبة.

أما أسطورة «الجبل ذو الهدهدين- أوبوك»، فصوَّر حالة الصراع داخل المجتمعات القديمة، عبر تقديم الصراع بين قوى الخير والشر. حيث جاءت امرأتان من بلاد سكانها بخلاء وحسودون، ورمت بهما الأقدار في قرية سكانها بسطاء بعد غرق سفينتهم قرب ساحل الجزيرة. رحب البسطاء بهما بكل سخاء، ولكنهما تجبرتا وشكلتا حاشية تنشر الرعب بين سكان القرية، للاستحواذ على مقدرات الناس الكرماء، إلى أن أطل على القرية حكيم قادم من بلاد الشرق، وتصدى للامرأتين، وأنقذ سكان القرية ومكنهم من الوقوف بوجه الشر، وبشكل «أسطوري خارق»، حيث أوعز الحكيم باختفاء المرأتين، وتحويلهما إلى طيرين «هدهدين»، وسرعان ما ارتفعت من قاع البحر صخرتان كبيرتان تشبهان السفن، في المكان الذي غرقت فيه السفينة، هاتان الصخرتان- السفينتان تذكران الناس بالأحداث المؤلمة التي واجهها سكان تلك القرية.

إن أبناء شعبنا لا يخافون أحداً وأحرى بهم أن يسقطوا جميعاً عن بكرة أبيهم في ساحة المعركة من أن يبيعوا كرامتهم

نافورة الدموع

نافورة الدموع، حكاية تتحدث عن الحكام المتعطشين للدماء، وكيف يحافظون على عروشهم بكل الأساليب الوحشية. فالحاكم «الخان» تخلى عن كل شيء من أجل السلطة والمجد.

وعندما تقدم هذا الحاكم في العمر، وقع في حب جارية جميلة، ولكنّه لم يستطع أن يحظى بقلبها، وماتت الفتاة مبكراً، عندها أدرك الخان كيف يعاني القلب عندما تلمّ به المصيبة، فأصبحت حياته شاقة.

استدعى الحاكم فناناً إيرانياً ماهراً، وطلب منه أن يصنع له من الحجر عملاً يحمل الحزن على مر العصور، طلب منه أن ينحت الحجر بحيث يبكي مثلما يبكي فؤاده. فحفر الفنان على لوح من الرخام بتلة زهرة واحدة، ثم أخرى. وفي وسط الزهرة نقش عيناً بشرية، تسقط منها على صدر الحجر دمعة رجل ثقيلة دون أن تتوقف على مدى السنين والأزمان.

كيكيا وأوكسانا

في حكاية «كيكيا»، تجسد تلك الفتاة ملحمة، بعد أن وضعت مصالح شعبها ووطنها فوق كل شيء، فهي التي قررت بأن تدمر الأعداء، بمن فيهم زوجها، الذي اتضحت خيانته لشعبها. وبذلك سمح رؤساء المدينة لبطلتهم بأن تختار وهي على قيد الحياة، مكاناً لدفن جنازتها داخل المدينة، وميّزوا المكان بتمثال نصفي- على هيئة صدر امرأة- من النحاس المذهب، المنقوش بعبارة ناطقة بمأثرتها البطولية الجريئة.

أما حكاية «أوكسانا»، فهي تمثل صلابة الفتاة الفاتنة التي وقعت أسيرة مربوطة اليدين، عند قبائل القرم الرُحَّل الذين انقضوا على قريتها الآمنة، وتم بيعها إلى مدينة غريبة، لم يتمكن أحد من لمسها، ولم يذهبوا بها إلى الخان، حيث كانوا ينتظرون أن تضعف عزيمتها، كانت ثمة قوة داخلية هائلة تسندها، ولم تفقد الأمل بأن ينقذها حبيبها، الذي تمكَّن من الوصول إليها متنكراً، فأنقذها بمعجزة بطولية كبيرة، بعدها تمكنا من الهرب بعيداً عن حاشية الخان.

صنع في بنغلاديش

حمل الفيلم الأخير للمخرجة البنغلاديشية ربيعة حسين عنوان «صنع في بنغلاديش»، وتروي مشاهد الفيلم قصة كفاح عاملات مصانع النسيج في بنغلاديش من أجل تحصيل حقوقهنَّ في تأسيس نقابة لعمال النسيج.

■ قاسيون

قضت المخرجة ربيعة حسين حوالي ثلاث سنوات في البحث ومقابلة العاملات للتَّعرف على البيئة التي عاشت فيها العاملة داليا، والتي عانت الكثير من ظروف العمل في المصنع، على يد أرباب العمل وعلى يد زوجها القاسي، فقررت استعادة كرامتها بتأسيس نقابة للعاملات اللواتي تراوحت أعمارهن ما بين 18–30 عاماً ويعانين جميعاً من آلام الظهر والكتف بسبب الجلوس على مقاعد صلبة والانكفاء على طاولات الخياطة عشر ساعات في اليوم، ولستة أيام في الأسبوع مقابل أجور تبلغ 100 يورو شهرياً في أفضل الحالات.

سيناريو الفيلم مستوحى من قصة حقيقية، هي قصة حياة العاملة داليا اختر دولي. حيث طرحت المخرجة وجهة نظر العاملة التي أسست نقابة عاملات النسيج، بشأن صناعة النسيج وحقوق العاملات، من أجل تحسين ظروف العمل في بلد يستخدم العمّال والعاملات بشكل واسع لتعزيز الإنتاج المحلي الذي تصاعد من 18،14 مليار دولار عام 1980، إلى 274،025 مليار دولار عام 2018.

كما يروي الفيلم قصة العاملة شيمو– وهي تجسيد لشخصية العاملة الحقيقية داليا اختر، التي فرّت من قريتها وهي في سن الحادية عشرة لتستقر في مدينة دكا وتعمل في مصنع النسيج– وهنا تبلغ شيمو من العمر 23 عاماً وتناضل من أجل تأسيس نقابة لعمال مصنع الغزل والنسيج الذي تعمل فيه بعد أن أودى حريق بحياة العديد من العمال والعاملات. ويستعيد الفيلم حادثة حريق وانهيار مصنع رنا بلازا الشهير سنة 2013، الحادثة التي تسببت بوفاة 1138 من عمال وعاملات المصنع، ما دفع العاملة شيمو إلى المطالبة بحقوق العمال بمساعدة المهتمين بقضايا حماية العاملات.

قالت ربيعة حسين لوسائل الإعلام إنها عندما التقت بعاملات النسيج في عام 2016، لم تشعر بأنهن ضحايا، بل محاربات يشعرن بالكرامة وبالطاقة الكافية للمطالبة بحقوقهن، وبعد تصاعد النضال في المصنع ارتفعت أجور العاملات وصرفت تعويضات الحريق وتحولت النقابة الجديدة إلى محرك للتغيير في المصنع على الرغم من القمع والاستغلال.

أخبار ثقافية

معهد لدراسات البحر المتوسط

افتتحت جامعة تشجيانغ للدراسات الدولية في مدينة هانغتشو شرقي الصين مؤخراً، معهد دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط، وهو الأول من نوعه في الصين، حيث يتوقع إقامة المزيد من الدراسات عن القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتعلقة، بدعم من العلماء الصينيين. قالت وسائل إعلام صينية إن البحر الأبيض المتوسط مجال جديد للاستكشاف بالنسبة إلى الدائرة الأكاديمية الصينية، ما يعني الحاجة إلى بذل المزيد من الجهود للاهتمام بالمنطقة التي كانت محوراً على طول طريق الحرير القديم، والتي يسكنها اليوم أكثر من 500 مليون نسمة، فيما يبلغ إجمالي الناتج المحلي للمنطقة المذكورة حوالي 10% من الإجمالي العالمي.

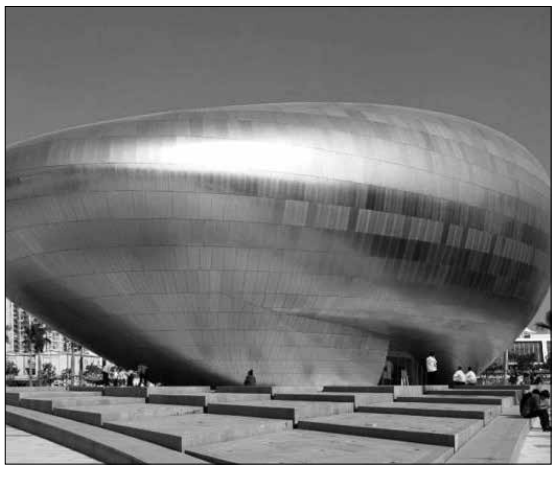

26 ألف معرض

ذكرت وسائل إعلام صينية أن 5354 متحفاً في أرجاء الصين أقامت 26 ألف معرض ونحو 260 ألفاً من الأنشطة التعليمية الأخرى حول الآثار الثقافية خلال عام 2019. وذكرت أيضاً إن تلك الفعاليّات استقطبت قرابة 1،13 مليار زائر. وأوضحت وسائل الإعلام أن قضاء العطلات في المتاحف أضحى اتجاهاً جديداً في الصين، إذ إن أكثر من 40% من السياح قاموا بزيارة المتاحف خلال عطلتي مهرجان عيد الربيع والعيد الوطني. من جهة أخرى، نشرت المتاحف على الإنترنت معلومات بشأن أكثر من 5 ملايين قطعة من الآثار الثقافية الموجودة ضمن مجموعاتها لتعزيز وصول الجمهور إلى تلك الآثار.

كانوا وكنا

شهدت مدينة يافا الفلسطينية أحداث ثورة العشرين 1920، وانتفاضة أيار 1921، وثورات 1929–1930، والثورة الفلسطينية الكبرى 1936–1939 وغيرها. في الصورة: وقوف الجماهير في وجه جنود الاستعمار البريطاني خلال مظاهرة شعبية ضد الصهيونية في مدينة يافا الفلسطينية عام 1933 المظاهرة التي كانت شرارة انتفاضة تشرين الأول 1933.

للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الاسم	الهاتف	المحافظة	الاسم	الهاتف	المحافظة	الاسم	الهاتف	المحافظة	الاسم	الهاتف
درعا	خالد الشرع	0968844820	دمشق وريفها	محمد عادل اللحام	0944484795	طرطوس	صلاح معنا	0999725141	الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
السويداء	هاني خيزران	0952769397	حمص	محمد زهري زهرة	0933145891	حماة	أنور أبوحامضة	0933763888	حلب	جمال عبدو	0933796639
			اللاذقية	صلاح طراف	0988386581	دير الزور	زهير المشعان	0932801133	الرقة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الأحد 2020/01/05» «قاسيون» أصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18
قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 2011/12/03

الذاكرة الشعبية ترفض النسيان

وسط رفض الكوريين، بدأت كوريا الجنوبية في السنوات الأخيرة سياسات لتعديل مناهج دراسة التاريخ لتخفيف لغة العداء تجاه فترة الاحتلال الياباني لكوريا بين عامي 1910-1945، وأنتج السينمائيون أفلاماً جديدة تُعيد للذاكرة الوطنية فترة نضال الشعب الكوري ضد الاحتلال الياباني، كاحتجاج على المساس بالرموز الشعبية والوطنية.

■ عمر هيواني

النمر والصياد

قدم بارك هوون جونغ ثلاثة مستويات للصراع في فيلم «النمر: حكاية الصياد العجوز» في معالجة سينمائية مركّبة وعميقة لهوية بلاده. إذ قدّم الصراع عليها في ثلاثة مستويات متaصلة؛ التمترس وراء ثقافة تحرّض الكوريين على مقاومة الاحتلال، واختار النمر رمزاً لهذه الثقافة بوصفه حارس الطبيعة والروح الطيبة في الأساطير الشعبية، وسعى نحو خلق نموذج مغاير للبطل الذي يؤمن أن وجوده يكتمل بانتصار المبدأ والحق لا بتفوّقه وتميزه على الجميع.

يذكّر هذا الفيلم بالاستعمار الياباني، في حين تريد المناهج الرسمية نسيانه، وبهذا الشكل يطرح المخرج والسيناريست الكوري رؤيته في مواجهة الاحتلال انطلاقاً من قصة الصيّاد العجوز مين سيك تشوي الذي يعترض على تعلّم ابنه الصغير الصيد، بعد تاريخ طويل ومرير مع الطبيعة وقوانينها، فقد قتَل زوجته بالخطأ ظنّاً منه أنها وحش كاسر، ودارت بينه وبين النمور جولات عديدة، تأسّست على عداء مستحكم مروراً بهدنة ألزمت الطرفين بعدم التعرّض لبعضهما، وصولاً إلى صداقة نادرة بين خصمين قوامها الحذر المتبادل، ومساعدة كلّ منهما لغريمه إذا استدعت الحاجة، من دون أن يغمض أحدهما عينه مطمئناً إلى خصمه.

جمعت علاقة معقّدة بين النمر وصيّاده، بعد أن اقتنع كلاهما بإمكانية العيش في ظل وجود الآخر، وهنا تغزو القوات اليابانية جارتها كوريا لتبدأ أكبر حملة إبادة للنمور، باعتبارها التجسيد الرمزي للروح الوطنية الكورية، وفي هذه الأثناء يرتكب الغزاة جرائم دموية بحق البشر والشجر والحيوان.

لم يغب الانقسام بين الكوريين عن مشاهد الفيلم، فجزء منهم يناصر الاستعمار رهبة منه أو طمعاً بهباته، ومنها المكافأة التي أعلن مقابل الفتك بالنمور التي لم يبق منها إلاّ نمر أعور استطاع النجاة بعد قتله العديد من الجنود الذين أنهوا حياة آخر أبنائه، وفي المقابل يقف من يرفضون الانصياع لأوامر الحاكم الياباني ومنهم العجوز تشوي، الذي لم يستطع إقناع ابنه الوحيد بعدم الالتحاق بصائدي النمور ليلقى حتفه هناك عاجزاً عن أن يستوعب رؤية والده حول الصيّاد الذي يحمي الطبيعة ولا يثأر منها.

خلّفت تلك المواجهات الدامية ضحايا بالمئات خلال عواصف ثلجية مدمرة تهبُّ على الجبال والغابات، فلا يستطيع أحد الخروج من منزله سوى الصيّاد والنمر وهما يبكيان فقدهما عائلتيهما، وغدت وحدتهما تماثل كل القسوة والبرودة والوحشة التي تحاصرهما بفعل غضب الطبيعة وممارسات الاحتلال. وقرر الصياد في نهاية الفيلم: لا يجب أن يقتل هذا النمر بيد المحتل الياباني، وإذا قُدر له الموت فليكن بيد كورية، ويموت الاثنان سقوطاً من حافة شاهقة بعد معركة مرهقة.

النمر والصياد شخصيتان وتراجيديا على الطريقة الكورية، الأول يرفض الصيد مقابل المال أو خدمة الاستعمار، والثاني يتحدى كلّ أعدائه ولا يستسلم لهم حتى آخر لحظة.

حرصت الأفلام السينمائية الجديدة في كوريا الجنوبية على أن تقدم النمر مترافقاً مع مشاهد النضال ضد الاحتلال

هدير معركة النصر

فيلم يحمل اسم «من هدير المعركة إلى النصر»، وهو فيلم كوري ياباني والذي أنتج عام 2019، ويصوِّر أحداث معركة فنغودونغ بين فصائل المقاومة الكورية والإمبريالية اليابانية أثناء الاحتلال الياباني لكوريا.

في عام 1920، وعندما كانت كوريا تحت الحكم الياباني، نشطت مجموعات المقاومة الصغيرة في العديد في المناطق المحتلة، وخلال 4 أيام متواصلة، دارت معركة فنغودونغ التي هزم فيها الجيش الياباني رغم ضخامة الحشود أمام فصائل صغيرة في الجبال والغابات، تلك الفصائل التي استدرجت الحشود اليابانية باتجاه الحدود السوفييتية حيث تتمركز القوة الرئيسة للمقاومة الكورية التي شكلها الشيوعيون.

وفي هذا الفيلم أيضاً، ظهرت شخصية الضابط الياباني الدموي الذي يفتك بالنمور الكورية كنوع من التسلية، ومن أجل تحطيم الروح الكورية. وفي النهاية يُهزم هذا الضابط وحشوده شر هزيمة على يد بسطاء الناس الذين نظّموا المقاومة لتحرير بلادهم.

رمزية النمر الكوري

منذ قرون عديدة، احتل النمر مكانة مهمة في التراث الشعبي الكوري، فهو طارد الأرواح الشريرة حسب الأساطير القديمة، وبطل معظم الحكايات الشعبية ورمز الشجاعة والقوة في الفولكلور المحلي، ويظهر أيضاً في الأعمال المنحوتة من الحجر وفي لوحات الفن القديم، وهناك أكثر من 600 سجل تاريخي عن النمور في عهد أسرة جوسون وحدها، كما يشكل النمر مادة رئيسة في لوحات التراث الشعبي التي تعرف باسم «مينهوا» وغير ذلك من مواد التراث التي تؤكد حضوره.

يظهر «النمر» كرمز كوري في فترة النضال ضد الاحتلال، وهو الرمز الذي يعيش أيضاً في الحكايات الشعبية الكورية القديمة. وحرصت الأفلام السينمائية الجديدة في كوريا الجنوبية على أن تقدمه مترافقاً مع مشاهد النضال ضد الاحتلال رفضاً لنسيان الرموز الوطنية، واحتجاجاً على تغيير مناهج التاريخ في السنوات الأخيرة.

قاسيون
2020
5000 ل.س للمؤسسات والجهات العامة والخاصة
2000 قيمة الاشتراك السنوي للأفراد
حزب الإرادة الشعبية
اطلاق حملة الاشتراكات السنوية
كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار